تاريخ الحضارة الإسلامية

اعداد: م. م. سامان احمد رمضان

جامعة صلاح الدين/ كلية العلوم الاسلامية

قسم الدراسات الاسلامية/ المرحلة الثانية

2024م

مقدمة

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسله منشئي الحضارات الإنسانية الراقية، وفاتحي سبل التقدم والرقي الإنسانيين، وأتم الصلاة والتسليم على من كملت ببعثته الأسس الحضارية محمد النبي العربي الذي اصطفاه الله لتبليغ رسالته للناس جميعًا، فأدى الأمانة، وأخلص النصيحة، ووضع الإنسانية بتعاليمه وتربيته في طريق المجد الصاعد إلى قمم الحضارة المثلى الفكرية والروحية والنفسية والمادية، الفردية والاجتماعية، وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان من الذين أسهموا في بناء حضارة المسلمين، مستهدين بهدي كتاب الله، وسنة رسوله.

لا تخلو أمة من الأمم أو جماعة من الجماعات؛ بدائية كانت أو متقدمة، من أن تكون لها ثقافة ما تربطها وتكسبها طابعها المتميز، والثقافة هي طريقة في العيش وموقف من الحياة والوجود، ونظام قيمي واجتماعي يحكم مظاهر الحياة ومفرداتها جميعها، وينعكس في أشكال النشاط والسلوك كلها، ويمنح المجتمع هويته ويحافظ على تماسكه. أما الحضارة فوصف زائد على الوجود الثقافي للجماعة، يتضمن معنى التقدم، والتفوق النوعي والكمي، والإنجاز على مستوى الواقع، ودرجة ملحوظة من التأثير في المحيط التاريخي، وفعالية في صنع أحداثه وتوجيهها؛ فعالية قد تصل حد تشكيل منعطف ومفصل مشع فيه؛ زمانيًا ومكانيًا.

الحضارة، مفهومها وعناصرها وأسسها

الحضارة لغة:

حضر: الحاء والضاد والراء إيراد الشيء، وورود ومشاهدته. و (الحِضارة) بالكسر الإقامة في الحضر. وقال الأصمعي: هو بالفتح. و (الحضور) ضد الغيبة وبابه دخل. وحكى الفراء: (حضر) بالكسر لغة فيه.

الحضارة في الأصل: الإقامة في الحضر، ثم شاع استخدامها في العصر الحديث للدلالة على مظاهر الرقي العلمي والفني والأدبي والاجتماعي كما ذكر المعجم الوسيط.

نشأة المعنى الاصطلاحيّ للحضارة إنّما تعود إلى الدراسات الأوربّيّة، وذلك لعدّة قرون خلت. وذلك من خلال استخدام العبارة "Civilization" الّتي ظهرت تحمل مدلولات معيّنة، ثمّ طرأت التعديلات والتبديلات على ذلك المصطلح، حتّى وصل إلى ما استقرّ عليه اليوم من معنى.

الحضارة اصطلاحا:

هي التعامل مع عناصر الوجود من مخلوقات الله وموجداته في الكون وفق منهج الله وناموسه وسننه...

عرّف ابن خلدون الحضارة بأنّها :"أحوال عادية زائدة على الضروري من أحوال العمران زيادة تتفاوت بتفاوت الرفه وتفاوت الأمم."

فيكون الناس ، براي ابن خلدون ، بلغوا حالة زائدة علي الضروري من احوال معاشهم تمكنهم من التفنن والترف و احكام الصنائع المستعملة في وجوه الترف ومذاهبه من المطابخ والملابس والمباني والفرش وسائر عوائد المنزل واحواله وما تستدعيه اصناف الصنائع المستعملة من القومة والمهرة فيها مع ما يسيغه تكرار هذه الصنائع علي اتصال الايام من استحكام ورسوخ لها.

وفي العصر الحاضر تناول اللفظ باحثون المان وفرنسيون وانجليز وامريكان وغيرهم ، ثم باحثون عرب ومسلمون ، وقد اتفق اكثرهم عند قدر من الظواهر الاجتماعية هي السلوك والعقائد والنظم ، عدوه داخلا في مدلول لفظ الحضارة ثم اختلفوا من بعد ذلك في مقدار ما يدخل من الظواهر الاجتماعية تحت ذلك المدلول ،

عرف «ول ديورانت » الامريكي كاتب قصة الحضارة (ان الحضارة نظام اجتماعي يعين الانسان على الزيادة من انتاجه الثقافي) ،

وعرفها الباحثون المان: ان الحضارة هي الروح العميقة للمجتمع وتقوم على تاكيد الاصالة الروحية والحقيقة الفلسفية والعاطفية للانسان ،

اما الانثروبولوجي الانجليزي ادوارد ب . تايلور : Edward, Burnett Tylor فقد قال : ان حضارة اي مجتمع هي كل معقد مكون من المعرفة والعقيدة ، والفن والاخلاق والقانون والتقاليد.

مفهوم الحضارة الإسلامية:

الحضارة الإسلامية هي ما قدمه الإسلام للمجتمع البشرى من قيم ومبادئ، وقواعد ترفع من شأنه، وتمكنه من التقدم في الجانب المادي وتيسِّر الحياة للإنسان.

فالحضارة عبارة عن منظومات متكاملة من الأنماط السلوكية والنشاطات الحركية ، التي يقوم بها الإنسان عن وعي وإدراك للتعامل مع عناصر الوجود وموجودات الكون رغبة في تطويعها وتحويرها بما يحقق أهدافه ويخدم مصالحه .

الحضارة هي الجهد الذي يُقدَّم لخدمة الإنسان في كل نواحي حياته، أو هي التقدم في المدنية والثقافة معًا، فالثقافة هي التقدم في الأفكار النظرية مثل القانون والسياسة والاجتماع والأخلاق وغيرها، وبالتالى يستطيع الإنسان أن يفكر تفكيرًا سليمًا، أما المدنية فهي التقدم والرقى في العلوم التي تقوم على التجربة والملاحظة مثل الطب والهندسة والزراعة، وغيرها.. وقد سميت بالمدنيَّة؛ لأنها ترتبط بالمدينة، وتحقق استقرار الناس فيها عن طريق امتلاك وسائل هذا الاستقرار، فالمدنية تهدف إلى سيطرة الإنسان على الكون من حوله، وإخضاع ظروف البيئة للإنسان.

ولابد للإنسان من الثقافة والمدنية معًا؛ لكي يستقيم فكر الأفراد وسلوكياتهم، وتتحسن حياتهم، لذلك فإن الدولة التي تهتم بالتقدم المادي على حساب التقدم في مجال القيم والأخلاق، دولة مدنيَّة، وليست متحضرة؛ ومن هنا فإن تقدم الدول الغربية في العصر الحديث يعد مدنية وليس حضارة؛ لأن الغرب اهتم بالتقدم المادي على حساب القيم والمبادئ والأخلاق، أما الإسلام الذي كرَّم الإنسان وأعلى من شأنه، فقد جاء بحضارة سامية، تسهم في تيسير حياة الإنسان.

وفي تحليل هذا التعريف الإجمالي ما يفيد المعنى ويزيده وضوحاً ، ويمكن القيام بذلك من خلال ما يلي :

أولاً : الشمولية والعمومية لكافة التعاملات الإنسانية مع عناصر الوجود البشري وموجودات الكون ، فكل ما يصدر عن الإنسان من نشاط أو حركة في اتجاه عناصر الوجود وموجودات الكون قد نتج عنه ضرب من ضروب الحضارة ، فإقامة الـدود علي المجاري المائية ضرب من ضروب الحضارة ، وإجراء الأنهار واستخدام تياراتها المائية في النقل أو توليد الطاقة هو كذلك ضرب من ضروب الحضارة .

ثانيا : الحضارة كذلك تعنى بالسلوكات والتصرفات والنشاطات الظاهرة الملموسة ، وهذا العنصر في غاية الأهمية ، فالنشاط العقلي أو الذهني الذي يظل حبيس الفكر ولا يخرج إلي حيز

النشاط والتصرف والفعل والسلوك لا يعد ولا يصنف في عداد السلوك أو التصرف الحضاري ، ولا وزن له ولا اعتبار في سياق الحضارة ، فالعبرة إذن عند الحديث عن الحضارة بالسلوك والتصرف والنشاط الظاهري الملموس .

ثالثا : أيضاً السلوك الحضاري لابد أن يصدر عن وعي وإدراك كاملين ، فهو إذن سلوك رشيد ونشاط واعي وحركة محسوبة ، وراء كل ذلك عقل مدير وفكر محكم ، فالحضارات لم تقم على العشوائية والارتجالية.

رابعاً : أن نشاط الإنسان وسلوكه وحركته موجهة نحو عناصر الوجود من مخلوقات وموجودات بالكون ، فعناصر الوجود هي المجال الحيوي لقيام الحضارات وازدهارها ، والنتيجة النهائية للتفاعل بين نشاط الإنسان وحركته من ناحية ، وبين عناصر الوجود من ناحية أخرى ، هي التي تنبئ عن قيام حضارة من عدمه ، فقد تكون نتيجة التفاعل بين الطرفين المذكورين ازدهار جانب حضاري معين ، وقد تكون نتيجة التفاعل خيبة أمل وإحباط لأنها كانت نشاطات وحركات عابثة ماجنة.

خامسا : إن هدف التعامل الإنساني مع عناصر الوجود من مخلوقات وموجودات ، يحدده الرغبة المبدئية في تطوير وتحوير تلك العناصر بما يخدم مصلحة الإنسان وهذه المصلحة لا يشترط أن تكون ذات بعد أخلاقي .

الحضارة إذن منظومة سلوكية حركية شاملة ، تصدر من الإنسان في مواجهة قوى الطبيعة وعناصر الوجود ، لتخلق وضعاً أو حالة تحقق له ما يصبو إليه من حفاظ علي ذاته وتطوير تلك الذات بشكل مستمر.....

لفظ الحضارة في مفهومه الحديث، ومفهومه العالمي المعاصر:

قد أصبح أكثر اتساعا، مما كان يدل عليه في مفهومه اللغوي التقليدي.. وإذا كان أصل الحضارة: الإقامة في الحضر. فإن المعاجم اللغوية الحديثة، ترى أن الحضارة هي: الرقي العلمي، والفني، والأدبي، والاجتماعي، والاقتصادي في الحضر.. وبعبارة أخرى أكثر شمولا، هي: الحصيلة الشاملة للمدنية، والثقافية، والفكر، ومجموع الحياة، في أنماطها المادية والمعنوية.. ولهذا كانت الحضارة هي: الخطة العريضة -كماً وكيفاً- التي يسير فيها تاريخ كل أمة من الأمم، ومنها الحضارات القديمة، والحضارات الحديثة والمعاصرة.. ومنها الأطوار الحضارية الكبرى، التي تصور انتقال الإنسان أو الجماعات، من مرحلة إلى مرحلة..

ولئن كان الإسلام قد امتاز بأنه دين الحضارة الإنسانية، فإن الواقع يبين للباحث والمفكر، والدارس، أن الحضارة الإسلامية استمدت كل مقوماتها، وعناصر وجودها، وأسباب نمائها وازدهارها، من الإسلام ذاته..

فإن معناها قد توسع عند المؤرخين والباحثين الاجتماعيين حتى صار شاملًا لجميع أنواع التقدم والرقي الإنسانيين؛ لأنهما لا يزدهران إلا عند المستقرين في مواطن العمران.

وبإحصاء صور التقدم والرقي عند الإنسان نستطيع أن نرجعها إلى الأصناف الثلاثة التالية:

الصنف الأول: ما يخدم الجسد ويمتعه من وسائل العيش، وأسباب الرفاهية والنعيم، ومعطيات اللذة للحس أو للنفس.

ويدخل في هذا الصنف أنواع التقديم العمراني والزراعي والصناعي والصحي والأدبي والفني، والتقدم في الإنتاج الحيواني، واستخراج كنوز الأرض، والاستفادة من الطاقات المنبثة فيها، وما أشبه ذلك. ويدخل ضمن هذا جميع أنواع العلوم والثقافات التي تخدم هذا الصنف.

الصنف الثاني: ما يخدم المجتمع الإنساني، ويكون من الوسائل التي تمنحه سعادة التعاون والإخاء والأمن والطمأنينة والرخاء، وتمنحه سيادة النظام والعدل والحق، وانتشار أنواع الخير والفضائل الجماعية.

ويدخل في هذا الصنف أنواع التقدم الاجتماعي الشامل للنظم الإدارية، والحقوقية، والمالية، والأحوال الشخصية، والشامل للأخلاق والتقاليد والعادات الفاضلات، وسائر طرق معاملة الناس بعضهم بعضًا في علاقاتهم المختلة. وكل أنواع الثقافات والعلوم التي تخدم هذا الصنف.

الصنف الثالث: ما يأخذ بيد الإنسان فردًا كان أم جماعة إلى السعادة الخالدة التي تبدأ منذ مدة إدراك الإنسان ذاته والكون من حوله، وتستمر مع نفسه وروحه الخالدتين إلى ما لا نهاية له في الوجود الأبدي، الذي ينتقل من حياة جسدية مادية يكون فيها الابتلاء، إلى حياة نفسية روحية برزخية يكون فيها بعض الجزاء، ثم إلى معاد جسدي نفسي وروحي يكون فيه كامل الجزاء.

عناصر نشاة الحضارة :

لقد قدم القرآن الكريم عناصر نشأة الحضارة في أسلوب منطقي ، يتفق مع طبيعة العقل البشري بل وبما يحثه علي التفكير ، { اِقرَأ بِاسمِ رَبِّكَ الّذي خَلَقَ - خَلَقَ الإِنسانَ مِن عَلَقٍ - اقرَأ وَرَبُّكَ الأَكرَمُ - الّذي عَلَّمَ بِالقَلَمِ - عَلَّمَ الإِنسَانَ ما لَم يَعلَم } (سورة العلق - الآيات: من (1) حتّى (5)) .

بهذه الآيات الكريمات بدأت مسيرة نشوء الحضارة الإسلاميّة . إنّها افتتاحيّة الوحي الإلهيّ الّذي نزل على "محمّد بن عبد الله الهاشميّ القرشيّ ". نزل هذا الوحي يعلن ظهور مفهوم جديد عن الحياة لم يعهده العرب منذ قرون خلت .

إنّه دين جديد. ولكنّ كلمة دين غير وافيّة بالتعبير عنه، ولا كافية لما يتضمّنه هذا الوحي الإلهيّ من مضامين. فهو لم يستهدف تغيير العقائد الدينيّة والطقوس الكهنوتيّة الجاهليّة وحسب، بل استهدف كلّ ما يحملون من أفكار عن الحياة والكون والإنسان، وكلّ ما يعتنقون من مفاهيم

سلوكيّة، وكلّ ما اعتادوا عليه من طريقة في العيش. فهو بعد أن حوّلهم عن عبادة آلهة ماديّة تافهة متعدّدة إلى عبادة الله الواحد الّذي خلق السماوات والأرض والّذي { لا تُدرِكُهُ الأَبصارُ وهو يُدرِكَ الأَبصارَ وَهُوَ اللّطيفُ الخَبير }(سورة الانعام - (103) ، بدّل وجهة نظرهم في الحياة، وبدّل نظرتهم إلى السعادة، وبدّل قيمهم ومثلهم العليا، وصاغ سلوكهم وعلاقاتهم وحياتهم كلّها بنظام دقيق متكامل يطال كلّ جوانب الحياة ولا يغفل عن شيء منها.

وسنعرض لذلك من خلال التحليل التالي :

أولاً : عناصر نشأة الحضارة :

يقصد بعناصر نشأة الحضارة مجموعة المعطيات التي تجمعت وتألفت وساندت الإنسان من أجل أن يقيم الحضارات، والتي خرجت منها المدنيات المعروفة على مر التاريخ وحتى الوقت الراهن ، فهذه العناصر أو المعطيات من الرواسخ أو الثوابت الموجودة بشكل دائم ، لا تتغير ولا تتبدل ، لأنها مرتبطة بنظام الكون وناموس الحياة ، ولكنها قد تتطور وترتقي .

وهذه العناصر موزعة بين ثلاثة ركائز أو أسس ، يمكن متابعتها وتحليلها من خلال الآتي:

* **الإله الخالق المدبر :** هو صانع الكون ومدير شئونه ومقدر كل ما فيه من حركات وسكنات ، [بيده ملكوت كل شئ ...]، [وهو على كل شئ قدير] .

* **الإنسان : خليفة الله في الأرض:** خلقه ومنحه العقل والتفكير ، لكي يعمر الأرض، ويعبد الله لأنه خلقه من أجل هذه الغاية بالأساس ، والإنسان هو الفاعل الأساسي والرئيسي ظاهرياً ، فيما يتعلق بنشأة الحضارة وتطورها ، أما واقعياً فكل راجع إلى توفيق الله ومشيئته . قال تعالي [وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال إني أعلم ما لا تعلمون] . البقرة 30.

* **الكون بمخلوقاته وموجوداته** : وهذا هو المفعول به ومعه ، سخره الله من أجل الإنسان ، [وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ] والإنسان بدوره استغل هذه المسخرات ، إضافة إلي عقله وفكره فأبدع الحضارة وطورها . وإذا كانت هذه هي الركائز الأساسية الثلاثة التي تتوزع بينها عناصر ومفردات نشأة الحضارة، فماذا كان التتابع أو التسلسل المنطقي الذي تم وكان لهذه العناصر ، حتى قدر لها إنتاج الحضارات وبالتالي إفراز المدنيات.

***العقل والتفكير :** ميز الله الإنسان بالعقل ، ومتعه بالتفكير الذي هو القدرة على استخدام العقل وتفعيل مقدراته ، ومهام العقل والتفكير عديدة ، فالعقل للتدبر في آلاء الله وآياته ، ثم

الإيمان به عن قناعة واعتقاد ، ثم هو للتفكير في تحريف شئون الحياة ، وتوفير الحياة الطيبة لتمكين الإنسان من عبادة الله ، وعليه فإن هدف إعمار الأرض وغايته هو عبادة الله الواحد الأحد.

والعقل والتفكير اللذان تميز بهما الإنسان على سائر المخلوقات ، ما هما إلا نتيجة مباشرة لاستخلاف الله للإنسان في الأرض ، فالاستخلاف كرامة وتكريم لبني آدم ، وعليه فالعقل والتفكير لتتويج الاستخلاف ، وإتمام مدلوله وتحقيق أهدافه ، فخليفة الله في الأرض ينبغي أن يكون ذا لب مفكراً رشيداً ، طائعاً لمن استخلفه ، عارفاً له مقدراً إياه حق قدره .

ثانيا: مصادر تاريخ الحضارة الاسلامية:

اولا: القرآن الكريم، هو المصدر الاسلامي الاول الاعظم،

ثانيا: السنة النبوية، وهي ما صدر عن النبي ﷺ من قول او فعل اوتقرير.

ثالثا: المصادر المكتوبة، كل ما كتبه العلماء والامراء من المخطوطات والوثائق والرسائل والاتفاقات.

رابعا: المصادر الأثرية، كل ما تركه المسلمون من آثارهم من المساجد والخانات واسوارهم على اختلاف الانواع.

ثالثا: أهم الشروط التي تؤدي إلى نشوء الحضارة:

1 – الاستقرار: هو عدم الانتقال من مكان الى مكان اخر.

2 – التعاون: وهذا مرتبط بالاستقرار مما يجعل الانسان يحتاج الى التعاون للمقيمين في البقعة الجغرافية.

3 – الكتابة: فيحفظ الانسان كلَ ما قام بعمله وابداعه واختراعه، فينقله الى الاجيال التي تاتي من بعده..

السبيل إلى تحقيق التقدم الحضاري:

ولتحقيق التقدم والرقي الحضاريين عدة سبل:

1- ما ينزل به الوحي، أو يفيض به الإلهام.

2- ما يتوصل إليه العقل بالبحث العلمي.

3- ما يكتسبه الإنسان عن طريق الاختبار والتجربة والممارسة التطبيقية مع الملاحظة الدقيقة لجوانب الخطأ والنقص، وما يستدعيه الكمال.

أما الصنف المادي لصور التقدم والرقي عند الناس فالسبيل الطبيعي إليه إنما هو استخدام العقل في البحث العلمي والاختبار والتجربة والممارسة التطبيقية العملية، مع الملاحظة الدقيقة لجوانب الخطأ والنقص وما يستدعيه الكمال.

وقد يُسعف الوحي أو يفيض الإلهام بشيء من ذلك فنجده أخصر طريق إلى الكمال فيه.

وأما الصنف الذي يخدم المجتمع الإنسان فللتقدم والرقي فيه سبيلان:

السبيل الأول: التلقي التعلمي عن طريق الوحي، وذلك في كل ما تكفلت الشرائع الربانية ببيانه، ولا يعدل عن ذلك إلا متنكب سواء السبيل.

السبيل الثاني: استخدام العقل في البحث العلمي والاختبار والتجربة والممارسة التطبيقية العملية، مع الملاحظة الدقيقة لجوانب الخطأ والنقص، وما يستدعيه الكمال.

وأما الصنف الذي يأخذ بيد الناس إلى السعادة الخالدة، وهو المشتمل على المعتقدات والواجبات الدينية، وسائر التكاليف والآداب الشرعية التعبدية فالسبيل إلى تحقيق التقدم والرقي فيه إنما يكون بالتلقي التعليمي عن طريق الوحي فقط.

وبدهي أن تلقي ما يأتي به الوحي وينطق به الرسل عليهم الصلاة والسلام لا بد أن يرافقه إعمال العقل في التأمل، والتدبر، والفهم الصحيح، والتحليل والتركيب، والاستنباط، وقياس الأشباه والنظائر بعضها على بعض، ولا بد أن يرافقه أيضًا إعمال العقل في التحقق والتثبت من سلامة النصوص من التحريف والتبديل، بحثًا في الرواية، ونظرًا في صحة المعنى.

وهنالك شروط قد تساعد على نمو وازدهار الحضارة أوقد تعيقها وتؤدى الى انحطاطها.

ومن هذه الشروط :

1 - طبيعة جغرافية ، فحضارة البشر الحالية بدأت بعد انتهاء الدور الجليدى الرابع ونحن الآن ما بعد الجليدي .

2 - من شروط الحضارة مناسبة الاحوال الاقليمية لظهور الحضارة ومايؤثر في ذلك من برد قارس أو حر شديد مما يؤدى الى بعث النشاط الفكرى والغني والعلمي أو تسبب الخصول وتضعف

الانتاج والمطر والجفاف يسببان انتعاش منطقة ونمو الحضارة فيها من جهه أوموتها من جهة أخرى وهكذا .

3 - الموقع الجغرافي على طرق برية أو بحرية مما يؤدى الى نشوء حضارة كما حصل لتدمر والبتراء والمدن الايطالية

4 - الشرط الاقتصادى الذى يساعد على نشوء الحضارة أو سقوطها سواء ما كان يتعلق بالزراعة والتجارة والصناعة.

5 - النظام السياسي السليم الذى يحمي المجتمع ويساعد على الاستقرار والانتاج

6 - وجود اللغة الوسيلة المثلى للتبادل الفكري .

7- مجموعة النظم الاخلاقية التي تأتي عن طريق الدين أو المدرسة أو العائلة توحد الناس بقواعد النظام والتوجيه في السلوك .

ولا توجد شروط عرفية للحضارة اذ يمكن أن تظهر في أية قارة وفي أى عرق ، اذ ظهرت الحضارات عند كل جنس، وفي أية بقعة في العالم لان الحضارة هي التي تكون الجماعة بصفات خاصة تختلف بها عن بقية الجماعات الانسانية.

هذه الشروط التي ذكرناها اذا فقدت جميعها أو بعضها فان الحضارة تنهار ، فالحضارة ليست شيئا دائما ، انما يجب أن يحصل عليها كل جيل فاذا انقطع فوردها أو توقف انتقالها بصورة جدية تنتهي، والانسان يختلف عن الحيوان بالتربية والتعليم أى بعملية نقل الحضارة .

خصائص وغايات الحضارة الإسلامية

الخصائص المذكورة تسم كافة مفردات ومكونات الحضارة الإسلامية ، تسم المرجعيات الخاصة بها ، وتسم المقومات والأبعاد ، وتسم كذلك الأشكال والنماذج ، وتسم أخيراً الغايات والأهداف النهائية وإذا انتقلنا إلى الحديث عن غايات ومقاصد الحضارة الإسلامية ، فسوف نضع أيدينا على هدفين أو غايتين أساسيتين للحضارة الإسلامية :

أولا : الهدف أو الغاية الأولى : الغاية الدنيوية

الغاية الدنيوية تتجسد في تقديم النموذج الأمثل للحياة الطيبة ، وهذا يعني أن الإسلام كنظام اجتماعي يقود إلى السعادة في الدنيا من خلال تقديم البعد الروحي والترقي به في الإنسان، ولا يعني ذلك إهمال الجانب أو البعد المادي ، كما لا يعني أيضاً تحقيق الثراء والغنى والراحة والدعة في الحياة كهدف في حد ذاته، ولكن الحياة الطيبة تقوم على الإيمان العميق بالله والقناعة بعطائه والزهد في الدنيا مع حيازة ملذاتها .

ثانياً : الهدف أو الغاية الثانية : الغاية الاخروية

غاية أخروية هي توحيد الله وإفراده بالعبادة، وإعمار الكون بطاعته وذكره لنيل حياة أبدية بالقرب من الله .

وهكذا تابعنا كيف خرجت عقيدة التوحيد إلى عالم الآخر وبصحبتها الحضارة الإسلامية ، وكيف ساهمت كافة الأعراق والعناصر في بناء تلك الحضارة ، ثم استقرت تلك الحضارة وتحددت هويتها من خلال محددات ومعالم معينة ، وبدأت تنتقل إلى طور آخر من اطوارها برزت فيه كفاحيتها بشكل واضح، وهو طور الكفاح من أجل الاستمرار وامتصاص الأزمات حيث لاقت الحضارة الإسلامية الكثير من المعوقات والتحديات ...

أثر الأسس الفكرية والنفسية في بناء الحضارات

لكل حضارة من الحضارات الإنسانية أسس فكرية ونفسية كانت لها هي القوة الدافعة، والموجهة، والمحددة لخط سيرها.

ولذلك لا بد أن تكون المظاهر الحضارية لكل أمة نتائج ملائمة لمجموعة الأفكار والعقائد والتقاليد والعوامل النفسية المهيمنة عليها، يشهد لهذه الحقيقة الأمثلة التالية.

أولًا: كانت الأسس الفكرية عند اليونان الإغريق قائمة على تمجيد العقل. ولذلك كانت مظاهر حضارتهم ذات صلة وثيقة بهذه الأسس؛ إذ أثمرت لهم خلال قرون علومًا فلسفية ورياضية ونفسية وطبية، وفنونًا جمالية مختلفة.

ولما كانت أسسهم الفكرية غير شاملة لحاجات الحياة كلها لم تستطع حضارتهم أن تعطي الصورة المثلى للحضارة الإنسانية.

ثانيًا: وكانت الأسس الفكرية عند الرومان قائمة على تمجيد القوة، والرغبة ببسط السلطان الروماني على الشعوب، لذلك كانت مظاهر حضارتهم ذات صلة وثيقة بهذه الأسس؛ إذ أثمرت لهم خلال قرون إعداد أجساد قوية، وجيوش متقنة البناء، حسنة الاستعدادات والتدريبات الحربية، وأورثتهم هذه القوة سلطانًا ممتدًا في الأرض على شعوب كثيرة، غلبوها واستعمروها، واستغلوا خيراتها، كما أثمرت لهم أيضًا اشتراع مجموعة من القوانين والتنظيمات المدنية والعسكرية.

ولما كانت أسسهم الفكرية والنفسية غير شاملة لحاجات الحياة كلها لم تستطع حضارتهم أن تعطي الصورة المثلى للحضارة الإنسانية.

ثالثًا: وكانت الأسس الفكرية عند الفرس قائمة على تمجيد اللذة الجسدية، والسلطان، والقوة الحربية، ولذلك كانت مظاهر حضارتهم ذات صلة وثيقة بهذه الأسس؛ إذ أثمرت لهم خلال قرون

قصورًا فخمة، ومجالات كثيرة للترف المفرط، وجيوشًا حربية ذات بأس، بسطت سلطانهم على شعوب كثيرة غلبوها واستعمروها، واستغلوا خيراتها.

ولما كانت أسسهم الفكرية والنفسية غير شاملة لحاجات الحياة كلها، لم تستطع حضارتهم أن تغطي الصورة المثلى للحضارة الإنسانية.

رابعًا: وكانت الأسس الفكرية عند الهنود قائمة على تمجيد القوى الروحية وتنميتها بقهر مطالب الجسد وكبت غرائزه، ولذلك كانت مظاهر حضارتهم ذات صلة وثيقة بهذه الأسس؛ إذ أثمرت لهم خلال قرون مجموعة كبيرة من التعاليم الروحية التي أخذت بتطاول الأمد صبغة ملل ونحل وديانات، ووجهتهم للتعلق بالعلوم الروحانية المختلفة، كالسحر، وفنون الحيلة الخادعة للحواس، التي تعتمد على التلاعب بها، والتأثير على النفوس من ورائها، ومنحتهم مهارات مختلفة في التأثير على الأحياء الشرسة، فكثر فيهم حواة الثعابين والحيات والعقارب، ونحو ذلك من الهوام السامة المؤذية.

ولما كانت أسسهم الفكرية والنفسية غير شاملة لحاجات الحياة كلها لم تستطع حضارتهم أن تُعطي الصورة المثلى للحضارة الإنسانية.

خامسًا: أما حضارة القرون الحديثة التي بدأت منذ أواخر القرن الثامن عشر للميلاد واستمرت في نموها المادي تمتد وتنتشر من مهدها في أوروبا إلى كثير من بلاد العالم فأسسها قائمة على تمجيد العلوم المادية، والاستفادة من جميع الطاقات الكونية الكمينة والظاهرة لخدمة الجسد، ومنحه وافر الرفاهية والمتعة واللذة؛ واختصار الزمن له، وتقريب المسافات، وتخفيف الجهد عنه، ودفع الآلام الجسدية، وقائمة أيضًا على الرغبة ببسط السلطان على الشعوب، واستغلال خيراتها، وإعداد القوة الكفيلة بتحقيق ذلك بدءًا واستمرارًا.

ولا بد أن يلاحظ الباحثون المنصفون في هذه الحضارة الحديثة أن أسسها الفكرية غير شاملة لحاجات الحياة كلها، وذلك لإهمالها جوانب مهمة من حياة الإنسان النفسية والروحية والخلقية والسلوكية، ولاستهانتها بالجوانب الفكرية العليا، المتصلة بمنشأ الإنسان ومعاده، والغاية من وجوده.

من أجل ذلك فإن هذه الحضارة الحديثة لن تستطيع أن تعطي الصورة المثلى للحضارة الإنسانية الراقية، وربما يكون تقدمها الباهر في وسائل الرفاهية وأعتداء القوة سببًا من أسباب دمارها المذهل عاجلًا أو آجلًا.

سادسًا: وأما الحضارة الإسلامية فهي الحضارة الوحيدة التي تشتمل أسسها الفكرية والنفسية على حاجات الحياة كلها، من مختلف جوانبها الفكرية والروحية والنفسية والجسدية والمادية، الفردية والاجتماعية، ومن جميع المجالات العلمية والعملية.

لذلك فهي جديرة بأن تمنح الأمم التي تلتزم بها وتسير في منهجها سيرًا قويمًا الصورة المثلى للحضارة الإنسانية الراقية.

وقد استطاعت أسس هذه الحضارة ووسائلها ومناهجها أن تدفع الأمة الإسلامية في حقبة من الدهر للارتقاء في سلم الحضارة المجيدة المثلى، على مقدار التزامهم بأسسها ووسائلها ومنهجها السديد، وكانت نسبة الارتقاء الذي أحرزته هذه الأمة نسبة مدهشة إذا قيست بالزمن والطاقات التي تيسرت لهم حينئذ، واستمروا في ارتقائهم المدهش حتى أدركهم الوهن والانحراف عن أسس الحضارة الإسلامية الصحيحة، ووسائلها الفعالة، ومنهجها السديد.

الحضارة الإسلامية أهميتها وانواعها

أهمية الحضارة الإسلامية:

الفرد هو اللبنة الأولى في بناء المجتمع، وإذا صلح صلح المجتمع كله، وأصبح قادرًا على أن يحمل مشعل الحضارة، ويبلغها للعالمين، ومن أجل ذلك جاء الإسلام بتعاليم ومبادئ تُصْلِح هذا الفرد، وتجعل حياته هادئة مستقرة، وأعطاه من المبادئ ما يصلح كيانه وروحه وعقله وجسده.

وبعد إصلاح الفرد يتوجه الإسلام بالخطاب إلى المجتمع الذي يتكون من الأفراد، ويحثهم على الترابط والتعاون والبر والتقوى، وعلى كل خير؛ لتعمير هذه الأرض، واستخراج ما بها من خيرات، وتسخيرها لخدمة الإنسان وسعادته، وقد كان آباؤنا على قدر المسئولية، فحملوا هذه الحضارة، وانطلقوا بها يعلّمون العالم كله ويوجهونه.

وقد الف العلماء والباحثون كتبا كثيرا في الحضارة الاسلامية، وبذلوا غاية جهدهم في جمع وترتيب انواع العلوم والمعارف المتعلقة بالحضارة الاسلامية، على سبيل المثال كتاب (بُناة الفكر العلمي في الحضارة الإسلامية) لـ حليمة الغراري، وقد ذكر فيه اكثر من اربعين عالما لهم الاسهم الكبير في بناء الحضارة الاسلامية، مثل: جابر بن حيان199-102هـ/815-721 م، والخوارزمي، توفي سنة 236هـ . 850م، و ابن ربَّن الطبري، توفي سنة . 247هـ . 861م، و الفرغاني، توفي بعد سنة 247هـ . 861م، و الكندي، 260-175هـ/873-800م، الرازي، 313-251هـ/925-865م، و الفارابي، 339-257هـ/950-870م، ابن الرزاز الجَزَرِي، عاش في القرن السادس للهجرة... الخ

ومن اهم الكتب (ألف اختراع واختراع : التراث الإسلامي في عالمنا) سليم الحسني واخرون

كتاب رائع يتحدث عن اهم انجازات الحضارة الاسلامية وتأثيرها المباشر على الحضار الغربية .. بدءا بـ (الجزري) وساعته العظيمة ، و (الكندي) و (ابن الهيثم) ونظريتهما البصرية وتجاربهما ، وعلماء الفلك ورسم حركات النجوم والاجرام السماوية وكروية الارض ، وصناع الخرائط والرحالة المسلمين ، وعن الطب وأهم علمائه وبناء المستشفيات .... كما وضح لنا بالرسوم التوضيحية والصور أهم اختراعات واكتشافات العلماء المسلمين في العصر الذهبيّ للاسلام ....

مما لا شك فيه أن للحضارة الإسلامية أثرٌ عظيم في تطور النهضة الأوروبية ، ففي الفترة الذهبية من تاريخ الإسلام، أنشئت المدارس و الجامعات في مختلف البلاد الإسلامية شرقاً و غرباً، وكثرت المكتباتُ و امتلأت بالمؤلفات في شتى العلوم من طب و رياضيات و كيمياء و جغرافيا و فلك وغير ذلك ، ففي الوقت الذي كان علماء المسلمين يتحدثون في حَلقاتِهم العلمية و مؤلفاتهم عن دوران الأرض و كرويتها، و حركات الأفلاك و الأجرام السماوية، كانت عقول الأوروبيين تمتلئ بالخرافات و

الأوهام عن هذه الحقائق كلها، ولم يكن مسموحا أصلا باستخدام المنطق وإلا حوكم صاحبه على هذا العمل (الشنيع) !!!

و من ثم ابتدأت حركةُ الترجمة من العربية إلى اللاتينية، و غدت كتب علماء المسلمين تدرس في الجامعات الأوروبية ..

يجيب لنا الكتاب عن كثير من الأسئلة الهامة ويوضح لنا حقائق تاريخية عن أهم الإبتكارات وبراءات الإختراع لدى العلماء المسلمين .

أنواع الحضارة الإسلامية ومعالمها:

وللحضارة الإسلامية، ثلاثة أنواع ومعالم:

1- حضارة التاريخ (حضارة الدول الاسلامية):

وهي الحضارة التي قدمتها دولة من الدول الإسلامية لرفع شأن الإنسان وخدمته، وعند الحديث عن حضارة الدول ينبغى أن نتحدث عن تاريخ الدولة التي قدمت هذه الحضارة، وعن ميادين حضارتها، مثل: الزراعة، والصناعة، والتعليم، وعلاقة هذه الدولة الإسلامية بغيرها من الدول، وما قدمته من إنجازات في هذا الميدان.

2-الحضارة الإسلامية الأصيلة:

وهي الحضارة التي جاء بها الإسلام لخدمة البشرية كلها، وتشمل ما جاء به الإسلام من تعاليم في مجال: العقيدة، والسياسة، والاقتصاد، والقضاء، والتربية، وغير ذلك من أمور الحياة التي تسعد الإنسان وتيسر أموره.

3- الحضارة المقتبسة:

وتسمى حضارة البعث والإحياء، وهذه الحضارة كانت خدمة من المسلمين للبشرية كلها، فقد كانت هناك حضارات وعلوم ماتت، فأحياها المسلمون وطوروها، وصبغوها بالجانب الأخلاقي الذي استمدوه من الإسلام، وقد جعل هذا الأمر كُتاب العالم الغربى يقولون: إن الحضارة الإسلامية مقتبسة من الحضارات القديمة، وهما حضارتا اليونان والرومان، وأن العقلية العربية قدْ بدَّلت الصورة الظاهرة لكل هذه الحضارات وركبتها في أسلوب جديد، مما جعلها تظهر بصورة مستقلة.

وهذه فكرة خاطئة لا أساس لها من الصحة، فالحضارة الإسلامية في ذاتها وجوهرها إسلامية خالصة، وهي تختلف عن غيرها من الحضارات اختلافًا كبيرًا، إنها حضارة قائمة بذاتها، لأنها تنبعث من العقيدة الإسلامية، وتستهدف تحقيق الغاية الإسلامية، ألا وهي إعمار الكون بشريعة الله لنيل رضاه، لا مجرد تحقيق التقدم المادي، ولو كان ذلك على حساب الإنسان والدين كما هو الحال في

حضارات أخرى، مع الحرص على التقدم المادي؛ لما فيه من مصلحة الأفراد والمجتمع الإنساني كله.

أما ما استفادته من الحضارات الأخرى فقد كان ميزة تحسب لها لا عليها، إذ تعنى تفتح العقل المسلم واستعداده لتقبُّل ما لدى الآخرين، ولكن وضعه فيما يتناسب والنظام الإسلامي الخاص بشكل متكامل، ولا ينقص من الحضارة الإسلامية استفادتها من الحضارات السابقة، فالتقدم والتطور يبدأ بآخر ما وصل إليه الآخرون، ثم تضيف الحضارة الجديدة لتكمل ما بدأته الحضارات الأخرى.

خصائص الحضارة الإسلامية ومظاهرها

خصائص الحضارة الإسلامية للحضارة الإسلامية أسس قامت عليها، وخصائص تميزت بها عن الحضارات الأخرى، أهمها:

1- العقيدة:

جاء الإسلام بعقيدة التوحيد التي تُفرِد الله سبحانه بالعبادة والطاعة، وحرص على تثبيت تلك العقيدة وتأكيدها، وبهذا نفى كل تحريف سابق لتلك الحقيقة الأزلية، قال الله تعالى: [قل هو الله أحد. الله الصمد. لم يلد ولم يولد. ولم يكن له كفوًا أحد] (الإخلاص: 1-4).

فأنهي الإسلام بذلك الجدل الدائر حول وحدانية الله تعالى، وناقش افتراءات اليهود والنصارى، وردَّ عليها؛ في مثل قوله تعالى: [وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله ذلك قولهم بأفواههم يضاهئون قول الذين كفروا من قبل قاتلهم الله أنى يؤفكون. اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابًا من دون الله والمسيح ابن مريم وما أمروا إلا ليعبدوا إلهًا واحدًا لا إله إلا هو سبحانه عما يشركون] (التوبة: 30-31).

وقطع القرآن الطريق بالحجة والمنطق على كل من جعل مع الله إلهًا آخر، قال الله تعالى: [أم اتخذوا آلهة من الأرض هم ينشرون. لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا فسبحان الله رب العرش عما يصفون] (الأنبياء: 21-22).

2- شمولية الإسلام وعالميته:

الإسلام دين شامل، وقد ظهرت هذه الشمولية واضحة جليَّة في عطاء الإسلام الحضاري، فهو يشمل كل جوانب الحياة الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والفكرية، كما أن الإسلام يشمل كل متطلبات الإنسان الروحية والعقلية والبدنية، فالحضارة الإسلامية تشمل الأرض ومن عليها إلى يوم القيامة؛ لأنها حضارة القرآن الذي تعهَّد الله بحفظه إلى يوم القيامة، وليست جامدة متحجرة، وترعى كل فكرة

أو وسيلة تساعد على النهوض بالبشر، وتيسر لهم أمور حياتهم، ما دامت تلك الوسيلة لا تخالف قواعد الإسلام وأسسه التي قام عليها، فهي حضارة ذات أسس ثابتة، مع مرونة توافق طبيعة كل عصر، من حيث تنفيذ هذه الأسس بما يحقق النفع للناس.

3- الحث على العلم:

حثت الحضارة الإسلامية على العلم، وشجَّع القرآن الكريم والسنة النبوية على طلب العلم، ففرق الإسلام بين أمة تقدمت علميًّا، وأمة لم تأخذ نصيبها من العلم، فقال تعالى: [قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون] (الزمر: 9). وبين القرآن فضل العلماء، فقال تعالى: [يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات] (المجادلة: 11).

وقال رسول الله ﷺ مبيِّنًا فضل السعي في طلب العلم: (من سلك طريقًا يبتغي فيه علمًا؛ سهل الله له به طريقًا إلى الجنة) - البخاري وأبو داود والترمذي وابن ماجه-. وقال ﷺ: (طلب العلم فريضة على كل مسلم) -البخاري وأبوداود والترمذي وابن ماجه-.

وهناك أشياء من العلم يكون تعلمها فرضًا على كل مسلم ومسلمة، لا يجوز له أن يجهلها، وهي الأمور الأساسية في التشريع الإسلامي؛ كتعلم أمور الوضوء والطهارة والصلاة، التي تجعل المسلم يعبد الله عبادة صحيحة، وهناك أشياء أخرى يكون تعلمها فرضًا على جماعة من الأمة دون غيرهم، مثل بعض العلوم التجريبية كالكيمياء والفيزياء وغيرهما، ومثل بعض علوم الدين التي يتخصص فيها بعض الناس بالدراسة والبحث كأصول الفقه، ومصطلح الحديث وغيرهما.

القيم الحضارية في التصور الاسلامي

نشير هنا إلى بعض نماذج من القيم الحضارية التي أكد عليها الإسلام - والتي تعد فيما أساسية لبناء حضارة ثابتة الأركان شامخة البنيان - تؤتي أكلها تقدما ورقيا، وتقدم عطاءها الحضاري للبشرية جمعاء، سلاما وأمنا واستقرارا، ومنها:

اولا - التفكير :

التفكير من أهم القيم التي حث عليها القرآن الكريم في العديد من الآيات الكريمة ومن ذلك قوله تعالى: [لعلكم تتفكرون] البقرة ٢١٩ وقوله: [أفلا تتفكرون] «الأنعام 50 وأكثر التعبيرات التي وردت في هذا الصدد قوله تعالى: [إن في ذلك لايات لقوم يتفكرون] «الرعد 3. ومن خلال النظر في الأساليب القرآنية الواردة في هذا الشأن نجد القرآن الكريم يحفز الناس على التفكير، ويأمرهم به في سياقات متنوعة...

ومن استقراء التاريخ تعلم أن المسلمين عندما توقف تفكيرهم وانتشرت بينهم المقولات الخطأ مثل: « لم يترك الأول للآخر شيئا..». «وليس في الإمكان أبدع مما كان. وراجت في أوساطهم الخرافات والأوهام، توقفت حضارتهم وتوقف إبداعهم، واكتفوا بثقافة المحفوظات، وترديد ما قاله السابقون. وقد أدى ذلك بطبيعة الحال إلى توقف عطائهم الحضاري وإخلاء الميدان لغيرهم من الأمم لتحمل راية التقدم.

ثانيا - العلم :

إن اهتمام القرآن الكريم بالعلم لا يحتاج إلى تأكيد، ومن هنا وجدنا القرآن الكريم يوصى النبي ﷺ بأن يدعو ربه الاستزادة من العلم - [وقل رب زدني علما] طه 114 وفي ذلك حفز لنا بالسير على منواله والاقتداء به. والعلم .كما هو معروف - نقيض الجهل. فإذا كان الإسلام يعتبر العلم فريضة؛ فإن الجهل بعد رذيلة ونقيصة. والحديث عن العلم يعنى الحديث عن التفكير العلمي، ويعني ضرورة الالتزام بالمناهج العلمية. ولكن الأمر المؤسف أنه لا يزال يشيع في أوساط جماهير أمتنا الإسلامية اللجوء إلى تفسير الأحداث بغير أسبابها الحقيقية، وتصور أسباب وهمية لا صلة لها بالعلم ولا بالحقيقة.....

ثالثا الوقت :

يعد الوقت قيمة من القيم الحضارية الأساسية التي نبه إليها الإسلام، وحض على الالتزام بها، وحسن التصرف فيها، وقد أقسم الله تعالى بالوقت (مثل الفجر والضحى إلخ) في العديد من آيات القرآن الكريم ليبين لنا مدى الأهمية البالغة لهذه القيمة في حياة الإنسان، وتاكيدا على أهمية

الوقت يخبرنا النبي ﷺ أن الوقت يدخل ضمن المسئوليات الكبيرة التي يسأل عنه الانسان يوم القيامة، (.....عن عمره فيما أفناه)

رابعا العمل :

من القيم التي ترتبط ارتباطا عضويا بالوقت قيمة العمل؛ فالوقت هو الوعاء الذي يمارس فيه الإنسان العمل، ولا يمكن فصل هاتين القيمتين عن بعضهما، فالوقت بلا عمل فراغ، والعمل لا يمكن أن يتم إلا إذا كان هناك وقت لإنجازه، وإذا قلنا إن الوقت بشكل عنصرا أساسيا في تكوين الحضارة؛ فإن المقصود بذلك هو الوقت المرتبط بالعمل الجاد المثمر، والعمل لا يكون جادا أو مثمراً إلا اذا كان قائما على علم وفهم وادراك.

وتضيف هنا أمرين مهمين أكد عليهما النبي ﷺ تأكيدا واضحا لا لبس فيه ولا غموض.

أولهما: إتقان العمل والإخلاص فيه، وفي ذلك يقول النبي ﷺ: ((إن الله يحب إذا عمل احدكم عملا أن يتقنه)) .

ثانيهما: استمرارية العمل حتى آخر لحظة في حياة الانسان، وحتى عندما توشك الدنيا على الفناء، وفي ذلك يقول النبي ﷺ ((إذا قامت الساعة وفي يد أحدكم فسيلة فإن استطاع أن يغرسها فليفعل)).

خامسا حسن المعاملة:

الدين ليس تقوى سلبية تقتصر على صاحبها، وإنما التقوى الحقيقية تعد ترجمة عملية للدين في التعامل مع الآخرين، سواء كان ذلك بالقول أو بالفعل أو بالإشارة أو بأي وسيلة أخرى من وسائل التعامل.

ومن ثم فإن القرآن الكريم أكد على حسن المعاملة في منهج الدعوة إلى الله عز وجل، وبين أن قوام الدعوة ومنهجها يقوم على الحكمة والموعظة الحسنة والجدال بالحسنى، قال تعالى: [ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن] -النحل ١٢٥-

وقوله ﷺ((الدين حسن الخلق)).

سادسا الجمال:

الإسلام دين يحب الجمال ويدعو إليه في كل شيء، والنبي ﷺ يقول: ((إن الله تعالى جميل يحب الجمال)) . والقرآن الكريم في العديد من آياته يلفت الأنظار إلى ما في الكون من تناسق وإبداع وإتقان، وما يتضمنه ذلك من جمال وبهجة وسرور للناظرين، والإنسان مطبوع على حب الجمال، سواء كان هذا الجمال في الأشياء أو في الأشخاص. ويعرف الجمال بأنه صفة تلحظ في الأشياء، وتبعث في النفس سرورا أو رضا، أو كما يقول ابن سينا : "جمال كل شيء وبهآؤهُ هو أن يكون على ما يجب لهُ."

سابعا الحفاظ على البيئة : إن اهتمام الإسلام بالبيئة لم يقتصر على الجانب المادي لها فحسب، والذي يشمل التحذير من التلوث المادي الذي يضر بها وبما تشتمل عليه من كائنات، وإنما يشمل كذلك الجانب الأخلاقي الذي يهتم به الإسلام أعظم اهتمام، والإسلام يجعل الحفاظ على البيئة جزءا أساسيا من العقيدة، وهذا ما نقرؤه في الحديث النبوى الشريف((الإيمان بضع وسبعون شعبة فأفضلها قول لا إله إلا الله، وادناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان)). ويشمل الأذى المشار إليه كل أنواع الإيذاء التي تلوث البيئة وتضر بمصالح الناس وصحتهم وأذواقهم ومشاعرهم:

فالحفاظ على البيئة يعد اليوم سمة من سمات الحضارة الحديثة، فإنه جدير بالمسلمين أن يعتزوا كل الاعتزاز بما اشتملت عليه تعاليم دينهم من حماية للبيئة وحفاظ عليها، ولكن الأمر لا يجوز أن يقف عند حد الاعتزاز بل يجب على المسلمين أن يترجموا هذه التعاليم إلى ممارسة حياتية يومية؛ ليبرهنوا بسلوكهم الحضاري على انتمائهم الحقيقي للإسلام.

مظاهر الحضارة الإسلامية:

لم تغفل الحضارة الإسلامية الجانبين الروحي والمادي في حياة الإنسان، لذلك نجد أن الحضارة الإسلامية برزت في مجالات متعددة، بحيث ترقى بالإنسان في كل مستويات حياته، ومظاهر هذه الحضارة هي:

أولا: الجانب السياسي . جاء الإسلام رحمة للعالمين، وجاءت تعاليم الإسلام لتضمن سلامة المجتمع البشري من التفكك والضعف والانحلال، ولتضمن سعادته في الدنيا والآخرة، ولقد تمسك بها الصحابة -رضي الله عنهم- فخضعت لهم الدنيا، وأسسوا للإسلام دولة واسعة الحضارة، قوية البناء، محبة للعلوم، والتاريخ خير شاهد على ذلك. لقد وضع الإسلام نظامًا لم يكن معروفًا في أي مجتمع من المجتمعات، ولم يكن هذا النظام تطورًا طبيعيًّا أو غير طبيعي لأي نظام سابق عليه.

إن نظام الحكم الإسلامي له أسسه وقوانينه الواضحة المستمدة من القرآن الكريم، الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، ولأهمية الحكم في الإسلام فقد اهتم الإسلام ببيان ما على الحاكم والمحكوم، فحذر الحاكم من اتباع الهوى وشهوات النفس، قال تعالى: [فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله....] ص: 26. وقال تعالى: [وأن احكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله إليك] المائدة: 49.

وحذر الله -سبحانه- المحكوم من العصيان دون سبب مقبول شرعًا، قال تعالى: [يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول] النساء: 59.

أسس وقواعد الحكم في الحضارة الإسلامية:

1- **حق الأمة في اختيار الحاكم وتقويمه:** فالأمة صاحبة الحق في اختيار الحاكم ومبايعته، وفي الإشراف على سياسته وتصرفاته، ولها حق تقويمه إذا ابتعد عن طريق الصواب، وكل مسلم بالغ عاقل من حقه أن يشترك في بيعة الحاكم.

2- **الشورى:** فالشورى ركن أساسي من أركان الحكم الإسلامي، قال سبحانه: [وشاورهم في الأمر] -آل عمران: 159-، وقال أيضًا: [وأمرهم شورى بينهم] (الشورى: 38)، وكان يستشير أصحابه كثيرًا. وكذلك كان الخلفاء الراشدون -رضي الله عنهم- من بعده يستشيرون أهل العلم والخبرة في كل الأمور، كاختيار القواد، وتسيير الجيوش، وتوزيع الغنائم، كما كانوا يرجعون إلى الفقهاء في المسائل التي لا يجدون لها حكمًا ظاهرًا في الكتاب والسنة.

3- **العدل:** أمر الإسلام بالعدل، وجعله غاية الحكم الإسلامي وهدفه، والعدل هو: إعطاء كل ذي حق حقه كاملاً غير منقوص. وهذا العدل مسئولية الحاكم، وواجب من الواجبات المفروضة عليه، والأمة لها الحق في أن تحاسب الحاكم إذا ظلم أحدًا. ويشمل العدل كل الحقوق المتعلقة بالأرواح والأعراض والحريات والأموال، للمسلم وغير المسلم، قال تعالى: [إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهي عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكرون] -النحل: 90-، وقال رسول الله ﷺ : (اتقوا الظلم، فإن الظلم ظلمات يوم القيامة) –مسلم-.

4- **طاعة الحاكم:** طاعة الحاكم هي إحدى قواعد الحكم الإسلامي، وذلك ما دام الحاكم منفذًا لحدود الله عز وجل، وما لم يأمر بمعصية، قال تعالى: [يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم] (النساء: 59). وعلى المسلم أن يسمع ويطيع للحاكم، فيما أحب وكره، إلا أن يأمر بمعصية، فإن أمر الحاكم بمعصية فلا طاعة

لـه، قـال ﷺ : ((علـى المـرء المسـلم السـمع والطاعـة فيمـا أحـبَّ أو كـره، إلا أن يـؤمر بمعصـية، فإن أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة)) -ابن ماجه-.

5- **الحريـة:** لقـد احـترم الإسـلام الحريـة الفرديـة، فلـم يكـره أحـدًا عـلى أن يعتنـق فلسـفة معينـة، ولـم يُرغمـه عـلى أن يعـيش حياتـه وفـق نظريـة محـددة، فمـن حـق أهـل الكتـاب الخاضـعين للدولـة الإسـلامية أن يمارسـوا شـعائرهم دون أن يمـنعهم مـن ذلـك أحـد، قـال تعـالى: [لا إكـراه في الـدين] -البقـرة: 256-، وقـال سـبحانه: [أفأنـت تكـره النـاس حـتى يكونـوا مـؤمنين] -يـونس: 99-. وهـذه هي كلمـة عمـر الخالـدة الـتي قالهـا لعمـرو بـن العـاص عنـدما تسـابق ابنـه مـع أحـد المصريين القـبط فسـبقه المصري، فضربه ابـن عمـرو بـن العـاص، فاشـتكى هـذا الشـاب لأمـير المـؤمنين عمـر، فاسـتدعى عمـرًا وابنـه، وأمـر هـذا الغـلام أن يضرب ابـن عمـرو بـن العـاص أمـام أبيـه، وقـال لـه: اضرب ابـن الأكـرمين. وقـال لعمـرو: مـتى اسـتعبدتم الناس، وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارًا...

ثانيا:الجانب الاقتصادي في الحضارة الإسلامية:

المـال مـن أهـم مقومـات الحيـاة، جعلـه الله أداة لتيسـير حيـاة الإنسـان ومعيشـته واسـتقراره، وجعلـه الله زينـة مـن زينـة الحيـاة الـدنيا، فالإنسـان مفتـون بـه، مشـغول بجمعـه، قـال تعـالى: [زيـن للنـاس حـب الشـهوات مـن النسـاء والبنـين والقنـاطير المقنطـرة مـن الـذهب والفضـة والخيـل المسـومة والأنعـام والحـرث ذلـك متـاع الحيـاة الـدنيا والله عنـده حسـن المآب] -آل عمران: 14-.

عـلى المسـلم أن يتحـرى الحـق والصـواب في طلـب المـال، ومـن هـذه الطـرق المشـروعة: - العمـل الشريف: - الميراث: - الهبـة: - الوقـف: - الوصـية: وان يجتنـب الطـرق المحرمـة في اكتساب المال: الربا، الاحتكار، العدوان، الرشوة، الغش.

ثالثـا: الجانـب الاجتمـاعي في الحضـارة الإسـلامية: أقـام الإسـلام مجتمعًـا متكـاملاً، فبـنى الفـرد المسـلم الصـالح، فكـان أساسًـا لبنـاء المجتمـع المسـلم الصـالح المـترابط الـذي يسـير عـلى مـنهج الله سـبحانه، وكـان لابـد مـن تكـوين مجتمـع مسـلم؛ ليحمـل عـبء هـذه الـدعوة مـع الرسـول ﷺ، والـدفاع عنهـا بعـد موتـه، ونشرها في كـل أرجـاء الـدنيا، وقـد انشـغل الرسـول ﷺ في بدايـة الـدعوة في مكـة بتربيـة الفـرد المسـلم؛ كأسـاس لبنـاء المجتمـع المسـلم، وقـد تمثلـت جوانب هذه التربية في عدة أمور، هي:

أولاً: تصحيح العقيدة: ثانيًا: السمو الخلقي، والتخلق بأخلاق القرآن: ثالثًا: التحاكم إلى الله ورسوله: رابعًا: المسئولية الشخصية والولاء للدين: خامسًا: تكريم المرأة: اعتنى الإسلام بالمرأة

عناية كبيرة، ورفع مكانتها، وأعلى منزلتها، قال عمر بن الخطاب -رضي الله عنه-: والله لقد كنا في الجاهلية لا نعد النساء شيئًا حتى أنزل الله فيهن ما أنزل.

رابعا: الجانب العلمي في الحضارة الإسلامية: أنزل الله -عز وجل- أول آية من كتاب الله تعالى تحث المسلمين وتحضهم على العلم والتعلم، قال تعالى: [أقرأ باسم ربك الذي خلق. خلق الإنسان من علق. اقرأ وربك الأكرم. الذي علم بالقلم. علم الإنسان ما لم يعلم] -العلق: 1-5-. وقد رفع الله -عز وجل- قدر العلماء حيث قال: [يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات] (المجادلة: 17). وقال الرسول ﷺ مبينًا أهمية العلم: ((طلب العلم فريضة على كل مسلم)) -مسلم وابن ماجه-.

وعندما أُسر المشركون في بدر، جعل الرسول ﷺ فداء كل واحدٍ منهم أن يعلم عشرة من الصحابة، وقد نشط المسلمون في جميع العصور في طلب العلم والمعرفة حتى تركوا لنا ميراثًا حضاريًّا رائعًا، يعبر عن تفوقهم في كل مجالات الحضارة. وهناك وسائل عني بها الإسلام لاكتساب العلوم منها:

المساجد، المكتبات، المدارس،اللغة والأدب، التاريخ، علم الجغرافيا وعلاقته بالفلك والرحلات....

ومن أهم مجالات العلوم التي اهتم المسلمون بتعليمها: العلوم الأصيلة، والعلوم المقتبسة.

أولاً: العلوم الأصيلة: هي العلوم التي تتصل بالقرآن الكريم والسنة النبوية وأصول الدين وما يخص الأمة من آداب وتاريخ، وقد أبدعها المسلمون أنفسهم، ولم يقتبسوها من غيرهم، ومن أبرز هذه العلوم:

ثانيا: العلوم المقتبسة: العلوم المقتبسة هي العلوم التجريبية التي تقوم على التجربة والاستنباط، وتهدف إلى إسعاد الناس وتسهيل حياتهم وخدمتهم، وهذه العلوم مثل الفلك والهندسة والحساب والجبر والكيمياء والفيزياء والتاريخ الطبيعي والطب، وغير ذلك من العلوم التطبيقية.

وقد أسهم المسلمون الأوائل بدور كبير في هذه العلوم، لأن ديننا الحنيف يحث دائمًا على البحث والتحري ودقة النظر، والتأمل في معالم هذا الكون، واستنتاج قدرة الله عز وجل، ولقد تعددت إنجازات المسلمين في العلوم المقتبسة، ومنها:

علم الطيران:

مظلة الهبوط:

في القرن التاسع في الأندلس، قام عباس بن فرناس (190 هـ - 260هـ) باختراع نسخة بدائية من مظلة الهبوط أو ما يطلق عليه الآن باراشوت بالإنجليزية(Parachute). وصف جون لينهارد هذه المظلة في "في عام 852، خليفة جديد وتجربة غريبة: شخص جريء يدعي عباس بن فرناس قرر أن كتابه محركات إبداعنا كالآتي:يطير من على برج في قرطبة .لقد حطّ ثانية على الأرض باستخدام عباءة ضخمة على شكل أجنحة ليخفف من سقوطه. لقد أصيب بجروح طفيفة، وكان ابن فرناس الشاب هناك لكي يرى هذا".

عباس بن فرناس كان أول من قام بمحاولة طيران مُتَحَكمْ فيها. لقد قام بالتعديل في مُتَحَكمْات الطيران لمظلته الشراعية باستخدام جناحين صناعيين لكي يتحكم في ارتفاعه ويتمكن من تغيير اتجاهه. لقد عاد إلى الموضع الذي طار منه بنجاح، لكن هبوطه لم يكن ناجحاً، طائرة ابن فرناس الشراعية كانت الطائرة الأولي التي تملك أجنحة صناعية، والتي استخدمها في محاولة الطيران التي كللت بعدم النجاح. طبقاً لاوليا چلب في القرن السابع عشر أن هيزارفين أحمد سيليبي كان أول طيار قام بمحاولة طيران ناجحة باستخدام جناحين صناعيين.

تقنية الكاميرا:

في العصور الماضية، آمن إقليدس وكلاوديوس بطليموس بأن العين تبعث أشعة ضوئية تمكننا من الرؤية. كان أول من أدرك أن الأشعة الضوئية لا تنبعث من العين، بل تدخل إليها، هو العالم **المسلم الحسن بن الهيثم** في القرن العاشر، والذي يعد أباً لعلم البصريات، وهو يعد أيضاً أول من نقل علم الفيزياء من الممارسة النظرية الفلسفية إلى الممارسة العملية، عن طريق تطويره للمنهج العلمي.المصطلح (كاميرا) أتٍ من كلمة **قمرة العربية** وتعني ثقب يبعث الضوء في مكان مظلم، وأول وصف لها عن ابن الهيثم.

استنتج ابن الهيثم أنه كلما صَغُر ثقب القمرة كلما كانت الصورة أفضل، وبهذا أنشأ أول قمرة مظلمة (بالإنجليزي Obscura Camera ، والتي تعتبر كسلف " للكاميرا " الحالية.، ومصطلح (كاميرا) في اللغة الإنجليزية أتى من العبارة اللاتينية obscura camera والتي تعني "الغرفة المظلمة"، وأول وصف لها عن ابن الهيثم.

صناعة العطور:

بدأت صناعة العطور على يد جابر بن حيان ويعقوب بن إسحاق الكندي، أجري الكندي أبحاثاً مكثفة وتجارب على دمج نباتات مختلفة ومصادر أخرى لإنتاج العطور، استخراج الشذي من خلال التقطير البخاري على يد ابن سينا في القرن الحادي عشر، ولد في قرية أفشنة بالقرب من بخارى) في أوزبكستان حالياً، من أب من مدينة بلخ ، في أفغانستان حالياً، ولد سنة 370 هـ(980) م.

علم الفلك:

وهو العلم الذي نعرف به أحوال الكواكب والنجوم في السماء وحركاتها وأبعادها، وقد اتجه المسلمون لدراسة هذا العلم دراسة دقيقة نابعة من توجيهات القرآن الكريم وإشاراته إلى هذه الموضوعات، فانطلق المسلمون استجابة لتوجيهات القرآن ينظرون ويدرسون هذا الفضاء الفسيح؛ فبدءوا بترجمة الكتب التي تتحدث عن الفلك عند اليونان والفرس والهنود، واستوعبوا هذه المعارف وفهموها، ثم نقدوها وعلَّقوا عليها، وأضافوا عليها، وابتكروا أشياء جديدة نافعة في حياة المسلمين.

ومن أهم علماء الفلك الذين نبغوا في ظل الحضارة الإسلامية:

الجَزِري (1136-1206) عالم مسلم كوردي يعتبر من أعظم المهندسين والميكانيكين والمخترعين في التاريخ. ولد الجزري في منطقة جزيرة ابن عمر التي تقع اليوم في الأقاليم السورية الشمالية على نهر دجلة، ثم عمل كرئيس المهندسين في ديار بكر (آمد)

قام بابتكار ساعة فلكية ضخمة تعمل بقوة الماء تقوم بعرض أجسام متحركة تمثل الشمس والقمر والنجوم. كما تعرض أيضاً دائرة الأبراج والمدار الشمسي- والقمري . بها أيضاً خاصية فريدة هي مؤشر ينتقل عبر قمة ممر دخول ويجعل أبواباً تفتح تلقائياً كل ساعة.

وقام تقي الدين محمد بن معروف باختراع الساعة القابلة للملاحظة، والتي وصفها على أنها "ساعة ميكانيكية بها ثلاثة أقراص تعرض الساعات والدقائق والثوانِ ."كانت تستخدم في الأغراض الفلكية، وبخاصة حساب المطلع المستقيم للنجوم. وتعتبر هذه الساعة من أهم الابتكارات في الممارسة الفلكية في القرن السادس عشر، حيث أن الساعات السابقة لها لم تكن دقيقة بما يكفي لاستخدامها في الأغراض الفلكية.

البتَّاني أبو عبد الله محمد بن جابر بن سنان (ت 317 هـ)، وهو من أحفاد المترجم المشهور ثابت بن قُرَّة الحراني، وقد أنشأ البتَّاني مرصدًا فلكيًّا عُرِف باسمه، ووصف الآلات الفلكية وصفًا دقيقًا، وشرح طريقة استخدامها، وهو ما يعرف بالأَسْطُرلاب.

وقد كان لأعماله جانب نظري يتمثل في قراءة مؤلفات الفلكي اليوناني بطليموس وانتقائها بطريقة علمية، وَوَضع كتابًا في حركة النجوم وعددها، ظل يدرَّس في أوربا حتى عصر النهضة العلمية في أوربا، والجانب الآخر أبحاث تجريبية عملية بلغت منتهى الدقة والارتقاء والتقدم العلمي من واقع مشاهداته الفلكية، وحدد أبعد نقطة بين الشمس والأرض، وحسب مواعيد كسوف الشمس وخسوف القمر، واتبع في ذلك منهجًا شبيهًا بالمنهج العلمي الحديث، مما جعل الأوربيين يعدُّونه من أعظم علماء الفلك في التاريخ.

وأبو إسحاق إبراهيم بن يحيى النقاش الزُّرْقَالي الذي عاش في القرن الرابع الهجري، وولد في قرطبة، وعمل في طليطلة بالأندلس، وقد أنشأ مراصد فلكية عديدة، واخترع جهاز الأسطرلاب الفلكي لقياس اتجاهات الرياح وسرعتها وتحديد الليل والنهار، مما أدهش علماء أوربا، وقد استفاد من مؤلفاته العالم الأوربي الفلكي كوبرنيكس الذي حرص على الاستشهاد بآراء أبي إسحاق في جميع مؤلفاته. والفرغالي الذي ألف كتابًا ظل مرجعًا اعتمدت عليه أوربا وغربي آسيا سبعمائة عام، وغير هؤلاء كثيرون ممن برزوا في علم الفلك.

علوم الرياضيات:

علوم الرياضيات تشمل الحساب والجبر والهندسة وغيرها، ويعد العلامة محمد بن موسى الخوارزمي (ت 232 هـ) صاحب الفضل الأكبر في معرفة خانات الآحاد والعشرات والمئات، وفي معرفة الزوجي من الفردي في الأعداد، وفي معرفة عمليات الكسور العشرية، واستخدامها في تحديد النسبة بين محيط الدائرة، وقطرها مما لم تعرفه أوربا قبله.

ولم يكن الخوارزمي وحده هو البارز في هذا المجال، بل كان هناك علماء كثيرون وضعوا مؤلفات في الحساب والجبر وغيرهما مثل: أبي كامل شجاع بن أسلم المصري، ووسنان بن الفتح الحرَّاني، والكندي، ومحمد بن الحسن الكرخي صاحب كتاب الكافي في الحساب، ويحتوي على مبادئ الحساب الشائعة في زمنه وبعض العمليات الحسابية المبتكرة.

وعلم الجبر من العلوم التي أنشأها المسلمون، برغم أن لها أصولا في بابل والهند وعند الإغريق، لكن المسلمين طوَّروها، وأضافوا إليها الكثير على يد علماء بارعين، حتى تكاد تظهر بصمات اليد العربية عليه، وما زال يحتفظ باسمه العربي في لغات العالم المختلفة.

ويعد الجبر أفضل فروع الرياضيات عند الخوارزمي، الذي يعد أول من ألف فيه بطريقة علمية، وله كتاب في الجبر يسمى (الجبر والمقابلة)، كما نجح في استخدام الجذور واستخدم الرموز في الرياضيات لأول مرة، مما جعل هذا العلم متطورًا بدرجة عالية؛ فسبق الخوارزمي بذلك ديكارت وغيره من علماء الرياضيات الأوربيين. ويرجع السبق إلى المسلمين في اختراع الرقم صفر، فلم يكن معروفًا قبل ذلك.

وممن أبدعوا في علم الجبر:

أبو الحسن القصاوي (ت 891 هـ). وأبو حنيفة الدينوري (ت 282 هـ)، وشجاع بن أسلم المصري، وأبو الوفاء البوزجاني (ت 388 هـ)، الذي وضع زيادات على مؤلفات الخوارزمي، وضَّحت العلاقة بين الجبر والهندسة فمهدت الطريق لأوربا حتى تكتشف الهندسة التحليلية، ثم التفاضل والتكامل. وترجم المسلمون كتب حساب المثلثات والهندسة.

كما أن المسلمين أخذوا حساب المثلثات والهندسة عن الأمم السابقة، وكان أهم ما ترجموه كتاب هندسة إقليدس ونقدوا نظريات السابقين، وأضافوا إليها الكثير، فابتكروا نظريات هندسية جديدة، فجددوا وأضافوا في المساحات والأحجام، وتحليل المسائل الهندسية، وتقسيم الزوايا، ومحيط الدائرة وكيفية إيجاد نسبة محيط الدائرة إلى قطرها مما سهل لهم أمورًا كثيرة في فنون العمارة والزخارف الإسلامية، وقد كان في مقدمة علماء المسلمين في الهندسة الحسن بن الهيثم وأبو جعفر الخازن، بالإضافة إلى أبناء موسى الثلاثة شاكر وأحمد والحسن الذين عاشوا في القرن الثالث الهجري، واشتركوا في تأليف الكتب في الهندسة والفلك، وعلم الميكانيكا.

علم الجغرافيا وعلاقته بالفلك والرحلات:

كان المسلمون الأوائل يعيشون في بيئة صحراوية، ارتبطوا بها، ولمسوا تغيرات الجو، وعرفوا تطوراته، وكانت تضاريس الصحراء، وما بها من جبال وتلال وهضاب وسهول ووديان، وأماكن المياه، كان ذلك دافعًا لمعرفة المسلمين بعلم الجغرافية وبراعتهم فيه.

لقد استفاد المسلمون من معارف الأمم السابقة في الجغرافية، وأضافوا إليها معلومات جغرافية كثيرة، فقد برعوا في مجال الجغرافيا الوصفية، وهي ما عرف بعلم المسالك والممالك، وقاموا في ذلك بعدة رحلات برية وبحرية كثيرة وصفوا خلالها الطرق والمسافات والمدن والأقطار وصفًا دقيقًا رائعًا، كما برع المسلمون في مجال التأليف الجغرافي ومحاولة التفسير العلمي لبعض الظواهر الجغرافية، ونجحوا نجاحًا باهرًا في فن

رسم الخرائط، مما يدل على الدقة وسعة الثقافة التي وصل إليها الجغرافيون المسلمون في معرفة البلاد ورسم مواقعها.

وكان أشهر رسَّامي الخرائط الإدريسي- الذي رسم خريطة للأرض، كما كانت تعرف في عصره بناء على طلب ملك صقلية، وقد رسمها على كرة من الفضة الخالصة، ووضع عليها خطوط الطول والعرض، ومن أهم الجغرافيين والرحالة المسلمين:

محمد بن موسى الخوارزمي وابنه أحمد، ويعد كتاب محمد بن موسى (صورة الأرض) الأساس الأول لعلم الجغرافية العربي، وقد استفاد منه الجغرافيون الأوربيون ومدحوه، واعتبروه تطورًا مفاجئًا في الوقت الذي وجد فيه.

علم الفيزياء:

درس المسلمون ظواهر عديدة في البحر، كالمد والجزر، والبراكين، وظواهر جوية كالضغط الجوي والرياح والأعاصير، والمطر والسحاب والبرق والرعد وظواهر الصوت والضوء وغيرها. وظهر الحسن بن الهيثم، صاحب النظريات المعروفة في علم البصريات.

وقد اهتم المسلمون بالأوزان، واستخدموا موازين غاية في الدقة، كما تفوقوا في تقدير الأوزان النوعية (النسبة بين وزن المادة ووزن حجم مساوٍ لحجمها من الماء).

ولقد اخترع البيروني آلة مخروطية، يتجه مصبها إلى أسفل، صنعها بنفسه ورسمها، لاستخراج الوزن النوعي، وذلك عن طريق ملء هذه الآلة بالماء حتى المصب (النهاية)، ثم يوضع فيها المادة التي يريد معرفة وزنها النوعي، فيخرج من حولها قدر من الماء من خلال المصب، ويسقط في الكفة، فيكون الوزن النوعي لها هو النسبة بين وزنها ووزن الماء المزاح، ونجح البيروني عن طريق تلك الآلة في تحديد وزن ثمانية عشر- معدنًا كالذهب والزئبق والنحاس والحديد والياقوت وغيرها، وتوصل إلى نتائج قريبة من نتائج العصر الحديث.

كما درس علماؤنا الأرض وقالوا بكرويتها، وعرفوا جاذبية الأرض للأجسام، ودوران الأرض حول نفسها كما ذكر البيروني، وقد سبق علماؤنا نيوتن، ومهدوا له الطريق لوضع قانون الجاذبية، وقد تفنن المسلمون في صناعة الآلات الدقيقة مثل الساعة التي أهداها هارون الرشيد سنة (191هـ) إلى أحد ملوك أوربا، وكانت مصنوعة من النحاس الأصفر بمهارة فنية عالية.

ودرس المسلمون الصوت والضوء، وعرفوا كيفية تمييز الأصوات من خلال دراسة الأوتار الصوتية، واهتزازاتها، وعرفوا المرايا بأنواعها. وهذا قليل من كثير عن علم الفيزياء

عند المسلمين، وعطائهم الحضاري في ميدان الفيزياء، ولولا هذا العطاء ما تقدم الغرب هذا التقدم السريع في علوم الفيزياء.

علوم الحياة:

وهي العلوم التي تدرس النبات والحيوان. وقد اشتغل المسلمون بعلمي النبات والحيوان، واهتموا بهما اهتمامًا عظيمًا، وكانت تعاليم القرآن والإشارات العلمية الواردة فيه خير دافع للمسلمين للبحث في جميع فروع المعرفة، ومنها علوم الحياة.

وقد ألف أبو حنيفة الدينوري 282هجري /895 م الملقب بشيخ علماء النبات كتاب (النبات)، وألف الإدريسي (1166 م - 559هـ)(كتاب (الجامع لصفات أشتات النبات).

وقد اهتم المسلمون بالزراعة، وأصبحت على أيديهم علمًا له أصوله وقواعده قبل باقي العلوم الأخرى، وقد اعترف الأوربيون بفضل العلماء المسلمين ودورهم في نقل كثير من النباتات إلى مصر والأندلس وصقلية، والتي استفاد منها الغربيون في زراعاتهم ومنها القطن، والبطيخ، وقصب السكر، والليمون، واهتموا بشق الترع والقنوات، وقد ذكر ابن حوقل في كتابه (المسالك والممالك) أخبارًا كثيرة عن هذه الترع والقنوات والأنهار.

كما اهتموا ببناء الخزانات وبناء السدود الضخمة على بعض الأنهار، وكذلك شق المجارى المائية تحت سطح الأرض. ومن أهم كتب الزراعة، كتاب الفلاحة الأندلسية لأبي زكريا محمد بن العوام الأشبيلي، وقد تحدث فيه عن أنواع التربة وأجودها، وما يصلح منها للبقول وغيرها وما لا يصلح لها.

واهتم المسلمون بالحيوان، فدرسوه بالتفصيل في كتبهم، ومن أبرز من كتبوا في هذا المجال: الجاحظ (159هـ) في كتابه الحيوان، والدميري في كتابه حياة الحيوان الكبرى، كما وجدت كتب عن البيطرة مثل: علاج الحيوانات، ومنها كتب للرمَّاح (ت 711 هـ).

علم الكيمياء:

لقد عرف المسلمون علم الكيمياء في وقت مبكر، وذلك على يد خالد بن يزيد بن معاوية (ت 85 هـ)، الذي ترك حقه في الخلافة؛ لأنه كان يحب العلم ويفضله على أي شيء آخر، فقام بترجمة كتب النجوم والطب والكيمياء.

وبرع في هذا الجانب جابر بن حيان (120 هـ-210 هـ) الذي أكد على أن التجربة هي أهم مراحل البحث العلمي، وبذلك وضع أسس المنهج التجريبي الحديث، وهو المنهج الذي يقوم على التجربة والملاحظة والاستنتاج، كما عرف ابن حيان كثيرًا من العمليات الكيميائية، ووصفها بدقة مثل: التبخير، والترشيح، والتقطير، والإذابة، وقد أجرى بعض

التفاعلات الكيميائية، وحصل من خلالها على محلول نترات الفضة. هذا وقد بلغت كتبه أكثر من مائة كتاب مثل: الخواص الكبير، والموازين، والإيضاح، وقد عرف الغربيون له قدره فترجموا مؤلفاته إلى اللاتينية من شدة إعجابهم بها.

ومن الكيمائيين المسلمين الذين برعوا في هذا المجال، محمد ابن زكريا الرازي، صاحب كتاب الأسرار في الكيمياء، الذي استخدم علم الكيمياء في الطب وعلاج كثير من الأمراض داخل جسم الإنسان.

وكان من هؤلاء: الكندي (185هـ / 805 م) الذي ألف عدة رسائل في الكيمياء منها: رسالة في تلويح الزجاج، ورسالة في أنواع السيوف والحديد.

ولقد كثرت منجزات المسلمين في علم الكيمياء، فحصلوا على مركبات وعناصر كيميائية كثيرة مثل: مركبات البوتاسيوم والصوديوم، واستخدموا ثاني أكسيد الكربون في صناعة الزجاج، وساهموا في صناعة الصابون والروائح.

علم الطب:

لقد اشتغل المسلمون بالطب في القديم، وتقدموا فيه مع تقدم الأيام، وظهر منهم في عهد الرسول ﷺ الحارث بن كَلَدة الثقفي طبيب العرب، الذي شهد له الرسول ﷺ ببلاغته في الطب، بالإضافة إلى بعض النساء اللاتي اشتغلن ومارسن هذا العمل، خاصة خلال غزوات الرسول من أمثال رفيدة بنت سعد الأسلمية والشفاء بنت عبد الله، وأم عطية الأنصارية -رضي الله عنهن-.

وقد اهتم المسلمون بالطب لما ورد في القرآن الكريم وسنة النبي ﷺ ، من إشارات طبية، وأمر بالتداوي، وقد احتوت كتب أئمة الحديث على أحاديث الرسول ﷺ التي تتعلق بالأمراض وبعلاجها، وكتب بعض علماء الحديث كتبًا خاصة في ذلك، مثل: الإمام النووي في كتابه الطب النبوي، والإمام ابن القيم في كتابه زاد المعاد، وابن حجر في شرحه لصحيح الإمام البخاري وغيرهم.

ومن التخصصات التي عرفها المسلمون:

الأمراض الباطنية: لقد عرف المسلمون تركيب جسم الإنسان وأجهزته، وطبيعة المعدة وأمراضها، وديدان الأمعاء، والبواسير وغيرها من الأمراض.

الجراحة: وكان كتاب الحاوي للرازي يشتمل على معلومات عن جراحات الأعضاء التناسلية والدماغ والخُرَّاجات الموجودة داخل الأذن وجراحة البطن وغيرها. ويرجع

الفضل في تقدم المسلمين في الجراحة إلى الطبيب الأندلسي- المسلم أبي القاسم الزهراوي (ت 403هـ) رائد هذا التخصص، والذي استفادت أوربا من كتبه لمدة خمسة قرون، حيث تُرجمت مؤلفاته إلى اللغة اللاتينية.

وقد ظهرت براعة أبي القاسم الزهراوي في إجراء العمليات بشكل لا يترك أثرًا ظاهرًا، واستئصاله لأورام الثدي والفخذ، وعلاج دوالي الساقين، واستخراج حصوات المثانة، وتفتيتها، واخترع أكثر من مائتي آلة جراحة تستخدم في العمليات، وأخذها عنه الذين جاءوا من بعده، وكان يحرص على استخدام ممرضات من النساء عند إجراء عمليات جراحية للنساء لتوفير الأمن والطمأنينة لهن.

طب العيون: لقد اهتم الأطباء المسلمون بأمراض العيون التي انتشرت في بعض البلاد الحارة، مثل: مصر- والشام والعراق، ونجحوا في تشريح عيون الحيوانات، فعرفوا أجزاء كثيرة من عين الإنسان التي لا تختلف كثيرًا عن عين الحيوان، وعرفوا أمراضها المختلفة، ووصفوا لها علاجها، ومن الأطباء الذين برعوا في هذا التخصص

عمار بن علي الموصلي (ت 400 هـ) صاحب كتاب المنتخب في علاج أمراض العين، وأيضًا العالم الطبيب علي بن عيسى الكحَّال صاحب كتاب تذكرة الكحالين، وغيرهما.

طب العظام: وقد نجح الأطباء المسلمون في علاج جميع الكسور في الأنف والفك والرقبة، والضلوع والركبة، والساقين، والذراع وغير ذلك، وكانوا يشرِّحون جثث الموتى لمعرفة شكل العظام والمفصل وكيفية اتصالها.

طب الأسنان: وفي كتاب الطبيب المسلم الزهراوي الذي سماه التصريف: باب وضح فيه كيف يمكن خلع الأسنان بجذورها، ووصف الآلات المستخدمة في ذلك، وعلاج ورم اللثة وتسكين الآلام، ووضع أسنان بديلة عن المخلوعة من عظم البقر المشدود بخيوط من الذهب أو الفضة، وعرفوا الوقاية من التسوس باستعمال السِّواك وبعض المحاليل والمساحيق التي تشبه معجون الأسنان اليوم.

طب النساء: اشتهر في هذا الفرع من فروع الطب الطبيب المسلم أبو بكر الرازي والزهراوي وابن سينا، ووجدت طبيبات مسلمات للقيام بهذا العمل مثل: أخت الحفيد بن زهر الأندلسي- وابنتها، وهناك مؤلفات إسلامية طبية مثيرة تحتوي على معلومات واسعة عن أمراض النساء وعلاجها، مثل: عمليات التوليد، وتوسعة باب الرحم أثناء الولادة، والنفاس وآثاره، وعالجوا احتباس الدورة الشهرية وغيرها من أمراض النساء، وحاولوا التعرف على نوع الجنين في بطن أمه عن طريق الملاحظة والتدقيق.

طب الأطفال: ولقد احتل طب الأطفال مكانة عالية عند المسلمين، ونال الأطفال عناية كبيرة من اهتمام علماء الطب المسلمين، فقد تكلموا عن الرضاع والفطام، ومواقيته، كما عالجوا أمراض الأطفال مثل السعال والإسهال والقيء، وحاولوا علاج شلل الأطفال، والتبول اللاإرادي في الفراش، وغيرها من الأمراض. ومن كتب طب الأطفال: رسالة في أوجاع الأطفال لأبي على بن أحمد بن مندويه الأصفهاني (ت410 هـ).

الطب النفسي- والعقلي: وقد مارسه من أطباء المسلمين الرازي وغيره من الأطباء، واستخدموا فيه الصدمات والمفاجأة لعلاج الأعضاء المصابة بالشلل، وإعادة الحياة إليها، أما الأمراض العقلية فكانت هناك مستشفيات خاصة بهذه الأمراض في جو مليء بالخضرة والزهور والورد، وسماع بعض الآيات القرآنية.

علم الصيدلة: وبرع المسلمون الأوائل في علم الصيدلة، وقاموا بترجمة الكتب التي تتحدث عن العقاقير والأدوية، ثم طوروا وأبدعوا في مجالات الأدوية والأقراص والأشربة والمرهم، كما ورد في كتاب (فردوس الحكمة) لعلي بن سهل الطبري، وكتاب (الحاوي) في الطب لأبي بكر الرازي، وكتاب (القانون) لابن سينا.

المسلمون هم أول من وضع أُسس فن الصيدلة، فهم أول من أنشأ مدرسة للصيدلة،و مخازن الأدوية والصيدليات،و أقاموا الرقابة عليها في كل مدينة،وأطلقوا على من يقوم عليها الصيدلاني.وكان الصيادلة لا يتعاطون صناعتهم إلا بعد دراسة و إجازة وترخيص،.وكان الصيدلاني يرتدي ثيابا بيضاء ويقف بباب صيدليته يصرف الدواء ومن ورائه الأرفف الممتلئة بالأوعية والعقاقير والقوارير.

وقد نجح المسلمون في تحضير الأدوية من الأعشاب، وكانت هذه الأدوية تباع في دكاكين العطارين المنتشرة في أسواق المدن الإسلامية بالإضافة إلى دكاكين الصيادلة.

وكان من أهم إنجازات العلماء المسلمين في مجال الصيدلة:

- اكتشاف العديد من العقاقير التي لا تزال تحتفظ بأسمائها العربية في اللغات الأجنبية مثل الحناء، والحنظل، والكافور، والكركم، والكمون.

- تحضير أدوية من مواد نباتية وحيوانية ومعدنية، وابتكار المعالجة المعتمدة على الكيمياء الطبية، ويعد الرازي أول من جعل الكيمياء في خدمة الطب، فاستحضر كثيرًا من المركبات.

- تغليف الأدوية المرة بغلاف من السكر أو عصير الفاكهة لكي يستسيغها المريض.

مكان العلاج:

وقد عرف المسلمون البيمارستان (المستشفى)، منذ زمن بعيد، وأول مستشفى أنشئت في عهد الخليفة الوليد بن عبد الملك عام (88هـ) قرب دمشق، وكانت تعالج مرض الجذام، ثم كثرت بعد ذلك المستشفيات، وجهزت بجميع الأدوات التي تلزم المريض، ومن هذه المستشفيات: مستشفى أحمد بن طولون في مصر، ومستشفى نور الدين محمود زنكي في دمشق الذي أنشئ عام (549 هـ)، ومستشفى صلاح الدين الأيوبي في مصر الذي أنشئ (577 هـ).

علم المعادن: عرف المسلمون الكثير عن الخواص الطبيعية للمعادن، ووصفوها وصفًا علميًا دقيقًا، مثل: اللون، والبريق، ودرجة الشفافية، والصلابة، والوزن النوعي لها. وقد برع علماء كثيرون في هذا المجال، منهم: عطارد بن محمد الحسيب، الذي عاش في القرن الثالث الهجري، وهو صاحب أول كتاب إسلامي عن الأحجار، وهو كتاب (الجواهر والأحجار الكريمة).

وأبو بكر محمد بن زكريا الرازي توفي (313 هـ)، وقد ألف في المعادن كتاب (الخواص)، وكتاب (علل المعادن) وتناول فيهما دراسة خواص الأحجار، ومكوناتها الطبيعية.

ويحيى بن ماسويه(777 م) صاحب كتاب (الجواهر وصفاتها)، وهو من أهم الكتب الإسلامية في مجال المعادن، حيث يكشف عن بداية اشتغال المسلمين بعلم المعادن وكتابتهم عنه وتصنيفهم فيه، وموقفهم من تجارة الجواهر وطرق الحصول عليها، وأماكن استخراج الحجارة في المشرق القديم وأثمانها وأوزانها المختلفة، والمصطلحات والأسماء التي تتعلق بعلم الأحجار في تلك العصور المتقدمة.

خامسا: العلاقات الدولية في الحضارة الإسلامية

قدم الإسلام للمجتمع البشرى أسسًا للحياة، تَكْفُل السلامة لهذا المجتمع، وإن اختلفت عقائد الدول وأديانها.

فنظم التعاون بين الأمم في كل المجالات السياسية والاقتصادية والثقافية والاجتماعية، كما قدَّم النظم المناسبة للتخفيف من ويلات الحروب، وكان ما قدمه الإسلام في مجال العلاقات الدولية هو أول تعليمات سامية في هذا المجال عرفتها البشرية.

الجانب السياسي: شرع الإسلام نظام المعاهدات، والسفراء، وتأمين الرسل المبعوثين إلى الدول الأخرى، وكتب رسائل الدعوة لهذه الدول.

الجانب الاقتصادي: أباح الإسلام التعامل بالعملة الفارسية والرومية في بداية الأمر؛ حتى تم إنتاج عملة إسلامية خالصة تدريجيًا، كما سمح بالتجارة الحرة، فكان التجار غير المسلمين يدخلون بتجارتهم العالم الإسلامي، وعليهم أن يدفعوا بعض المال، وهو ما كان يعرف بالعشور، كما كان التجار المسلمون يدفعون عندما يدخلون أرضًا غير إسلامية بتجارتهم.

الجانب الاجتماعي: أباح الإسلام للمسلمين أن يأكلوا طعام أهل الكتاب (اليهود والنصارى) من غير ما حرم الله، وأن يقدموا لهم من طعامهم. وأباح للمسلمين أن يتزوجوا من نسائهم، وأن يتعاملوا معهم ببر وصدق وعدالة، وأن يسالموهم ما لم يظهر منهم عدوان أو خيانة، وأن يكونوا منهم على حذر.

الجانب الثقافي: أحل الإسلام للمسلمين أن يتبادلوا الثقافات مع غير المسلمين، وأن يتعلموا لغاتهم، بشرط أن يكون تبادل الثقافات بما لا يتعارض مع قواعد الشرع الإسلامي الحنيف، ولهذا وجدنا المسلمين الأوائل يتعلمون لغات غير المسلمين، لنشر الإسلام، وليأمنوا مكر أهل هذه اللغات بهم كما ترجموا كتبًا كثيرة بلغات مختلفة إلى اللغة العربية.

الحروب: وضع الإسلام للحرب والسلم قواعد ونظمًا دقيقة، أنقذت البشرية من أهوال الصراع والدمار، وأتى الإسلام بمبادئ أخلاقية في مجال الحرب لم تعرفها البشرية من قبل.

سادسا: العمارة في الحضارة الإسلامية

أمر الإسلام بتعمير الأرض بالبناء عليها، وحث عليه لحماية الإنسان من حرِّ الشمس وبرد الشتاء وأمطاره، وجعل اتخاذ المساكن نعمة من الله لمخلوقاته، قال تعالى: [والله جعل لكم من بيوتكم سكنًا وجعل لكم من جلود الأنعام بيوتًا تستخفونها يوم ظعنكم ويوم إقامتكم ومن أصوافها وأوبارها وأشعارها أثاثًا ومتاعًا إلى حين] (النحل: 80) .

ووضع الإسلام لبناء المساكن والمدن والقرى آدابًا منها:

- اختيار المكان الجيد؛ فيبني المسلم البيوت وغيرها في السهول أو الجبال حسبما تقتضي حاجته ومكان تواجده وراحته، وهذا ما تحدث به القرآن كثيرًا، قال تعالى: [وكانوا ينحتون من الجبال بيوتًا آمنين] (الحجر: 82)، وقال تعالى: [تتخذون من سهولها قصورًا وتنحتون الجبال بيوتًا] (الأعراف: 74)..

- أن تتوفر في الدور والبيوت وسائل السكن والراحة والطمأنينة من تهوية جيدة، وسعة في المكان، ووجود الخضرة والزروع حول البيت، ووجود أماكن خاصة للنساء في البيوت.

وينبغي أن يكون في البيت مرحاض لقضاء الحاجة، وكان العرب قبل الإسلام لا يعرفون بناء المراحيض في البيوت، فلما جاء الإسلام اتخذ المسلمون المراحيض بجوار المسجد لقضاء الحاجة ثم الوضوء، وكان ذلك بعد غزوة خيبر واتخذوها في البيوت بعد ذلك، فعن أبي أيوب الأنصاري -رضي الله عنه- أن النبي ﷺ قال: ((إذا أتيتم الغائط فلا تستقبلوا القبلة، ولا تستدبروها ولكن شرِّقوا أو غرِّبوا)). قال أبو أيوب: فقدمنا الشام فوجدنا مراحيض بنيت قِبَلَ القبلة، فننحرف ونستغفر الله تعالى. –البخاري-، ومن هنا اتخذ المسلمون المراحيض للمساجد والبيوت.

ومن أوجب الأمور في تخطيط وإنشاء البيت المسلم اتخاذ مسجد للصلاة في البيت، وهذا ما جاء عن رسول الله ﷺ :، فعن عائشة -رضي الله عنها- قالت: ((أمر رسول الله أن تتخذ المساجد في الدور وأن تطهَّر وتطيَّب)) -ابن ماجه- .

وقد اشتمل الفن المعماري الإسلامي على عدة أنواعٍ منها: فن عمارة المساجد، وهو أرقى فن معماري عند المسلمين، وفن عمارة القصور، وفن عمارة البيوت، وفن عمارة المدارس، وقد برع المسلمون في فنون العمارة بكل أشكالها؛ لأنهم فهموا نماذج العمارة في الحضارات السابقة ثم طوروها بما يتناسب مع عقيدتهم ودينهم، ثم أبدعوا بعد ذلك نموذجًا إسلاميًّا خاصًّا بهم.

وسنأخذ أمثلة لفن العمارة الإسلامية في بعض العصور الإسلامية لنرى مدى محافظة المسلمين على أسس وقواعد البناء الإسلامي.

عصر النبوة والخلفاء الراشدين:

طبق المسلمون في عهد النبي ﷺ ، والخلفاء الراشدين قواعد البناء في الإسلام أروع تطبيق.

المسجد النبوي: فقد بنى النبي ﷺ المسجد النبوي بالمدينة، وكان هذا المسجد بسيطًا، بما يتفق مع روح الدين الإسلامي، ومع قواعد وأسس البناء في الإسلام، وكان المسجد مربعًا، وصحنه الأوسط مكشوفًا، لا سقف عليه، أما جوانبه الأربعة فكانت مسقوفة، وكانت المساحة المسقوفة من الحائط المجاور للقبلة أكبر من غيرها، وجدير بالذكر الإشارة إلى أهمية وجود الصحن المكشوف في وسط المسجد للإضاءة والتهوية.

وقد تم توسيع المسجد بعد عهد رسول الله ﷺ :، ففي عهد

عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- سنة (17 هـ)، زيد في مساحة المسجد، ونتج عن هذه الزيادة زوال الجدران التي بناها الرسول الكريم ﷺ :، ماعدا الجدار الشرقي التي كانت تلتصق به بيوت النبي ﷺ ، وقد اتبع المسلمون التخطيط الذي وضعه الرسول ﷺ لمسجده.

المسجد الأقصى: أقام عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- مسجدًا خشبيًّا عند الصخرة المقدسة التي ذكرت في قصة الإسراء والمعراج، وإلى الجنوب من قبة الصخرة يوجد المسجد الأقصى، حيث أقصى مكان وصل إليه البراق ب رسول الله ﷺ ليلة الإسراء.

البيوت: وكما كانت المساجد على عهد النبي ﷺ والخلفاء الراشدين بسيطة البناء، كانت بيوتهم كذلك تتسم بالبساطة، وقد كانت بيوت النبي ﷺ مبنية بالطوب اللَّبِن، وهي تسع حجرات، كان منها أربع حجرات من جريد عليها طبقة من الطين، والخمس الباقية مبنية بالطوب اللَّبِن، وكان سقفها في متناول اليد، وكذلك كانت بيوت الصحابة.

الدور الحضاري للمسلم المعاصر

على المسلم أن يضع أمام عينيه عدة حقائق، حتى يكون قد أدى دوره تجاه حضارته الإسلامية، ومن أهمها:

- أن الانتساب للإسلام شرف وعزة، لأن الإسلام هو الدين الذي اختاره الله لخلقه، قال تعالى: [إنَّ الدين عند الله الإسلام] (آل عمران: 19).

- أن العلم وحده ليس أساس الحضارة والتقدم، وإنما لابد من العقيدة الصحيحة والأخلاق القويمة مع الأخذ بأسباب العلم والحضارة، فلا حضارة بلا دين؛ لأن خلق الحضارة الفاسدة قد يكون سببًا في هلاكها وضياعها.

- أن الحكمة ضالة المؤمن إذا وجدها فهو أحق الناس بها، فعليه أن يقتبس من تقدم الغرب أو الشرق الأشياء المفيدة النافعة، التي لا تتعارض مع مبادئ الإسلام وقواعده.

- أن صلاح هذه الأمة يكون بالالتزام بتعاليم الإسلام، يقول عمر بن الخطاب -رضي الله عنه-: لقد كنا -نحن العرب- أذلَّ الناس، حتى أعزنا الله بالإسلام، فإن ابتغينا العزة في غيره؛ أذلنا الله.

وبعد أن يعلم المسلم هذه الأمور ويعيها، فإن أسئلة كثيرة تدور في ذهنه عن دوره تجاه حضارته، وتأتي الإجابة واضحة جلية، وهي أن دور المسلم يتحدد من ناحيتين:

الأولى: أن يهتم كل مسلم بحضارته ويتعرف عليها، فيعرف عوامل نجاحها وعوامل ضعفها، فيأخذ بعوامل النجاح، ويبتعد عن عوامل الضعف.

الثانية: أن يكون المسلم نفسه مبدعًا ومخترعًا وصانع حضارة، يساهم بما يستطيع في إعادة بناء هذه الحضارة، فالقرآن الكريم أمر المسلمين كثيرًا بالسير في الكون والتفكر في مخلوقات الله، ومعرفة سنن الله في هذا الكون.

دور المؤسسات الدولية في إحياء الحضارة الإسلامية

أولاً: الإعلام:

ينبغي أن تُستغل وسائل الإعلام استغلالاً يخدم مبادئ الحضارة الإسلامية وأهدافها، سواء المرئي منها أو المسموع أو المكتوب، فيعرض فيها جوانب عظمة هذه الحضارة وأسباب تفوقها، وإبداع المسلمين في كل المجالات، والتعريف بعلماء الحضارة الإسلامية في كل الميادين، ونشر أعمالهم، وأن تقدم البرامج التي تتحدث عن ذلك كله، وكيف أن الحضارة الإسلامية كانت هي المنبع الصافي الذي استقى منه الأوربيون، وتعلموا منه في عصور جهلهم، وكيف انتقلت هذه الحضارة إلى أوربا، فتقدمت هذا التقدم الذي تعيشه هذه الأيام.

كما أنه يجب عليه عرض التطورات العلمية العالمية في كل المجالات، حتى يستفيد من ذلك طلاب العلم، ويكون المسلمون على وعي بما وصل إليه العلم، فينطلقون إلى الإبداع والابتكار.

ثانيًا: التعليم:

ودور التعليم في إحياء وبعث الحضارة الإسلامية دور خطير ومهم، ولذلك ينبغي أن يتعاون الجميع لإصلاح مناهج التعليم؛ لأنه يجب أن يتعلم الطلاب في كافة مراحل التعليم مبادئ دينهم وحضارتهم، فيجب أن ينتهي الطالب مع انتهائه من مراحل التعليم من حفظ كتاب الله، وأن يدرس في كل مرحلة شيئًا مبسطًا عن قواعد الفقه الإسلامي وعلوم القرآن، والحديث النبوي الشريف، وأن تدرس مادة الحضارة الإسلامية في مرحلة التعليم العالي في الجامعات وفي كل الكليات، لتظهر كيف تفوق المسلمون في كل مجالات الحياة، وكيف أن المسلمين لما التزموا بإسلامهم سبقوا الأوربيين في كثير من الاكتشافات العلمية.

ولابد من العناية بتدريس اللغة العربية لغة الحضارة الإسلامية، تدريسًا ييسر فهمها، ويحببها إلى نفوس الطلاب، كما يجب الاهتمام بتدريس اللغات الأجنبية، وتعريب العلوم التي تدرس باللغات الأجنبية، ويجب متابعة التطورات العلمية في كل المجالات، وترجمتها لنكون على صلة بها، وهذا هو الأسلوب الذي اتبعه الأوربيون في بداية أمرهم، حيث قاموا بترجمة العلوم الإسلامية إلى لغاتهم ودرسوها بلغتهم، وبذلك استطاعوا أن يبدعوا ويبتكروا في كل المجالات.

وقد شهد الأوربيون أنفسهم بفضل علماء الحضارة الإسلامية على أوربا، ومن هؤلاء: الألمانية (سيجريد هونكه) في كتابها الرائع (شمس العرب تَسْطع على الغرب)، حيث قالت في مقدمته: إن هذا الكتاب يرغب في أن يرد للعرب ديْنًا لهم على البشرية استُحِقَّ منذ زمن بعيد، بالإضافة إلى دراسة التاريخ دراسة إسلامية تتفق مع مبادئ الإسلام، وتنقيته من الأخطاء التي علقت به، والاستفادة من عصور القوة التي عاشها المسلمون، ومعرفة أسباب هذه القوة والأخذ بها.

ولا يتحقق كل هذا إلا بالاهتمام بالمعلم الذي يدرِّس العلم لطلابه، فينبغي إعداده إعدادًا علميًّا جيدًا، وتكريمه ماديًّا ومعنويًّا واجتماعيًّا، وتوفير سبل الراحة له، حتى يقوم بالتعليم والتربية لأبناء المسلمين على مبادئ الإسلام وقيمه على أكمل وجه.

ثالثًا: الاقتصاد:

ينبغي إصلاح المؤسسات الاقتصادية في الدول الإسلامية بما يتلاءم مع مبادئ الإسلام وتعليمه، فينبغي أن يلغي نظام الربا، ويكون التعامل بنظام المضاربة الشرعية، وأن تستقي قوانين الاقتصاد من مبادئ الحضارة الإسلامية السامية، ومن مؤلفات علمائها في الاقتصاد، وينبغي أن يكوِّن المسلمون فيما بينهم ما يسمى بالسوق الإسلامية المشتركة لمواجهة تحديات السوق العالمية.

رابعًا: السياسة:

الأخذ بالنظم السياسية الإسلامية المختلفة، والاستفادة بما وضعه علماء الإسلام في هذا المجال من قوانين ومبادئ مستقاة من شريعة الإسلام.

خامسًا: الجانب العسكري:

على المسلمين أن يأخذوا بأسباب القوة العسكرية، وأن يسلحوا جيوشهم بأحدث الأسلحة التي توصَّل إليها العلم، وأن يكون تدريب قواتهم المسلحة على أرقى مستوى، ويدرسوا كيفية التخطيط للحروب الإسلامية، وعوامل انتصار الجيوش الإسلامية على غيرها من جيوش الدول الكبرى في ذلك الوقت، وكيف كان يعامل المسلمون أسراهم، وكيف كانوا يخوضون المعارك، والأحكام الخاصة بالحرب، وأن يربَّي في جنود المسلمين روح الجهاد للدفاع عن الإسلام ضد أي عدوان على الأرض أو العِرض، ومعرفة فضل الجهاد والشهادة في سبيل الله.

كما يجب أن تتحد الجيوش الإسلامية فيما بينها، وتكوِّن قوة عسكرية مشتركة، ويتم تبادل الخبرات في مجال التدريب والتسليح، والتخطيط للحروب، ولابد أن نصنع سلاحنا بأنفسنا ولا نعتمد على غيرنا في استيراد السلاح، ولو تم هذا واتحد المسلمون في مجال الإعداد العسكري بكل جوانبه؛ لأصبح المسلمون مهابين من أعدائهم.

المصادر:

1. الحضارة الإسلامية أسسها ووسائلها وصور من تطبيقات المسلمين لها ولمحات من تأثيرها في سائر الأمم ، عبد الرحمن بن حسن حَبَنَّكَة الميداني الدمشقي (المتوفى: 1425هـ) ، دار القلم-دمشق.
2. الحضارة الإسلامية بين أصالة الماضي وآمال المستقبل، علي بن نايف الشحود .
3. بُناة الفكر العلمي في الحضارة الإسلامية، ملامح من سِيَر علماء مسلمين من عصور مختلفة،حليمة الغراري.
4. الحضارة الاسلامية ونظرية نشؤها، بسيوني محمد الخولي، دار العلم والايمان، 2015م.
5. موسوعة الحضارة الاسلامية ، محمود حمدي زقزوق، القاهرة 2005.
6. نشوء الحضارة الاسلامية احمد القصص.
7. كتب اللغة والمعاجم...